Fax :91-522-2741221, 2741231 Regd. No. LW-NP/642012 To 2014 R. N. I. No. (U.P.ARA/2000/23

Monthly

AL-BAAS-EL-ISLAMI

Vol: 58 Issue:07 February 2013

إصدارات حديثة:

الشيخ العلامة السيد ابوالحسن علي الحسني الندوي

شخصية صنعت التاريخ

(في ضوء المشاهدات والتجارب الشخصية)

ألفه:

سماحة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي

رئيس ندوة العلماء العام لكناؤ (الهند)

نقله إلى العربية

حمد الرحمن مجيب الندوي

دار الغرب الاسلامي

ص. ب. ٦٧٧، تونس ١٠٣٥

DESIGNED BY: HAMID, Mob: 9889654027 Lko

Printed & Published by ATHAR HUSAIN on behalf of Majlis-e-Sahafat-wa-Nashriyat (Dept.of Journalism & Publicity) at Azad Printing Press, Nazirabad Lucknow. U.P.

Editor : SAEED-AL-AZAMI-AL-NADWI

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

العدد الثامن

المجلد ٥٨

المجلد الثامن والخمسون-جمادى الأولى ١٤٣٤هـ مارس ٢٠١٣م

حكمة الله تعالى في خلق الإنسان !

تأثير الحركات السياسية على الحركات الإسلامية

من وصايا الآباء لأبنائهم

حقيقة الإيمان الشرعية

الإستعمار المحلي

السلوك التربوي فى المنظور القرآني

تصدرها: مؤسسة الصحافة والنشر، ص.ب.٩٣، لكناؤ- الهند

Albaas-el Islami,Majlis Sahafat-wa-Nashriyat, P.O.Box 93, Lucknow- 226007 (U.P. (India)

Fax : 0091-522-2741221,2741231, E-mail:nadwa@sancharnet.in

بسم الله الرحمن الرحيم

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

العدد الثامن - المجلد الثامن والخمسون - جمادى الأولى ١٤٣٤هـ مارس ٢٠١٣م

انشأها:

فقيد الدعوة الإسلامية

الأستاذ محمد الحسني رحمه الله تعالى

في عام: ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م

المجلد ٥٨

رئاسة التحرير

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

مساعدا التحرير:

محمد فرمان الندوي

محمد عبد الله الندوي

مسئول مكتب المجلة:

أختر سهيل

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودار العلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية، وأن منهاج الدراسة خاضع للناموس التغير والتجدد، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه، ويحذف منه بحسب تطورات العصر، وحاجات المسلمين وأحوالهم.

(أبوالحسن علي الحسني الندوي رحمه الله)

المراسلات

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر

ص.ب.٩٣ لكناؤ (الهند) الفاكس: ٢٧٤١٢٢١-٢٧٤١٢٣١ - ٠٥٢٢

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS - E - SAHAFAT -WA- NASHRIYAT P. O. BOX: 93 Taigor Marg, Lucknow. Pin:226007-04 U. P. (India) Fax: 0522-2741221,2741231

E-mail:nadwa@sancharnet.in

العبقري العصامي!

العبقري العصامي الذي يأخذ من علوم الغرب ما تفتقر إليه أمته وبلاده، وما ينفع عملياً، وما ليس عليه طابع غرب أو شرق، إنما هي علوم تجريبية تطبيقية، وينفض عن كل ما يأخذه من الغرب غباراً لصق به في القرون المظلمة، وفي عصر الثورة على الدين، وفي حالة توتر أعصاب وقلق نفوس، يأخذ العلوم المفيدة مجردة من روح الإلحاد والعداء للدين، ومن النتائج الخاطئة، ويطعمها بالإيمان بفاطر الكون ومدبره، ويستنتج منها نتائج أعظم وأوسع وأعمق وأكثر سعادة للإنسانية مما توصل إليه أساتذتها الغربيون.

العبقري العصامي الذي لا ينظر إلى الغرب كإمام وزعيم خالد، وإلى نفسه كمقلد وتلميذ دائم، إنما ينظر إلى الغرب كزميل سبق، وكقرين تفوق في بعض العلوم المادية والمعاشية فيأخذ منه ما فاته من التجارب، ويفيض عليه بدوره ما سعد به من تراث النبوة، ويعتقد أنه إن كان في حاجة إلى أن يتعلم من الغرب كثيراً، فالغرب في حاجة إلى أن يتعلم منه كثيراً، وربما كان ما يتعلمه الغرب منه أفضل مما يتعلمه هو من الغرب، ويحاول أن ينهج - بذكائه وجمعه بين حسنات الغرب والشرق، وقوى الروحانية والمادية - ويضيف إلى المدارس الفكرية، والمناهج الحضارية مدرسة جديدة تستحق كل عناية ودراسة وتقليد واتباع.

هذا هو العبقري العصامي الذي لا يزال مفقوداً في صفوف القادة والزعماء في العالم الإسلامي على كثرتهم وتنوعهم، وهذا هو العملاق حقاً الذي يبدو في جانبه القادة المقلدون المطبقون صغاراً متواضعين كالأقزام.

(سماحة العلامة الندوي رحمه الله)

الاشتراكات السنوية في الهند

ثلاث مائة	٣٠٠/٠٠ روبية
ثمن النسخة:	٣٠/٠٠ روبية

في العالم العربي

وفي جميع دول العالم:

٥٠ دولاراً بالبريد الجوي

أما البريد العادي فهو ملغى بصفة رسمية

المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها

عنوان المراسلات:

ترسل الاشتراكات بالشيك:

باسم "البعث الإسلامي"

A/C 10863759846

(SBI LKO.MAIN BRANCH)

وذلك بالعنوان التالي:

مكتب البعث الإسلامي

(مؤسسة الصحافة والنشر)

ندوة العلماء ص ب ٩٣، لكناؤ (الهند)

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS SAHAFAT WA NASHRIYAT

NADWATUL ULAMA P.O. BOX. 93,

LUCKNOW-226007-U.P.(INDIA)

محتويات العدد

العدد الثامن - المجلد الثامن والخمسون - جمادى الأولى ١٤٣٤هـ مارس ٢٠١٣م

الافتتاحية :

حكمة الله تعالى في خلق الإنسان ! — سعيد الأعظمي الندوي — ٣

التوجيه الإسلامي :

من وصايا الآباء لأبنائهم — الدكتور محمد بن سعد الشويعر — ٨

حقيقة الإيمان الشرعية — الأستاذ الدكتور علي بن عبد العزيز الشبل — ١٣

الدعوة الإسلامية :

السلوك التربوي في المنظور القرآني — الأستاذ الدكتور جمال الدين الفاروقي — ١٩

الاستعمار المحلي — الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد — ٢٤

دراسة أدبية وتاريخية :

علاقة الهند باليمن عبر القرون — الدكتور محمد أنظر الندوي — ٢٩

تطور السيرة الذاتية في الأدب العربي — الأستاذ محمد صلاح الدين العمري — ٣٩

بعض شاعرات العرب في خير القرون — الدكتورة سيدة طلعت سلطانه — ٤٤

إطلالة على النثر العربي في مختلف العصور — الأستاذ مخلص الرحمن — ٥٥

رثـــــاء (الشعر) — الدكتور علي الطويل — ٦٤

دراسات وأبحاث :

صحيح الإمام البخاري يصدر في طبعة جديدة — الأستاذ محمد سكحال — ٦٥

فلسطين للعرب أم لليهود — الأستاذ نيسام ، سي — ٧٦

صور وأوضاع :

تأثير الحركات السياسية على الحركات الإسلامية — الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي — ٨٦

من كنوز القرآن الكريم :

مفردات القرآن للعلامة السيد سليمان الندوي — محمد فرمان الندوي — ٨٩

أخبار علمية وثقافية :

عالم هندي يتألق في مجال علم الحديث بالعالم العربي — الدكتور عز الدين الندوي — ٩٣

الأدب وسيلة فعالة للتهذيب الخلقي والإصلاح الاجتماعي — الأستاذ الدكتور شفيق أحمد خان الندوي — ٩٧

إلى رحمة الله تعالى :

البروفيسور شمس تبريز خان في ذمة الله تعالى — قلم التحرير — ٩٩

الافتتاحية:

حكمة الله تعالى في خلق الإنسان !

في هذا الكون الواسع العريض آيات بينات على قدرة الخالق العظيم الذي لا يحده علم ولا عقل ، ولا يحيطه أي فلسفة من الفلسفات الكونية والعلمية التي يتخذها الإنسان للتوصل إلى أسرار هذه الكائنات ، وإدراك ما فيها من آيات بينات كثيرات ، مما لا يأتي عليه الحصر ، وما خلق الله تعالى الإنسان من نفس واحدة إلا لكي يعمر الكون وينتفع بما فيه من متع ووسائل للمعيشة والعمارة ، وقد تعلم من معلمه الأول ما تعلم من واجب الخلافة والإطاعة لربه الكريم ، وإن كانت الملائكة قد أنكرت أن يكون الإنسان خليفة في الأرض فيقوم بالفساد ، وسفك الدماء ، فقالت : ﴿نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ ولكن الله سبحانه أبى إلا أن يجعله خليفة في الأرض : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (سورة البقرة الآيات/٣٠ - ٣١ - ٣٢) .

لعل الله سبحانه أراد بحواره مع الملائكة يوم ذاك ، أن يجعله البنية التحتية لصرح الحياة الإنسانية العالي ، ويقوم ببنائه من خلال ذلك المفهوم السامي الذي ينعكس مما أراده الله سبحانه من خلق الإنسان ، فبعث الأنبياء والمرسلين من آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وجماعة كبيرة منهم ، تحقيقا لهذه الغاية العظيمة التي ترفع الإنسان إلى مستوى العمل الإيجابي البناء ، ومعرفة الصلة القائمة بينه وبين ربه العظيم ، والتوصل إلى حقيقة العبودية لله تعالى ، فكان إرسال الأنبياء والرسل عليهم السلام للتوجيه إلى الهدف الأعلى من خلقه ، وبناء العالم البشري على أسس ثابتة من العمل في هذا الكون ، وللدراسة العميقة لما أودع الله تعالى

فيه وفي الكون والحياة من آيات جليلة تتجلى في الخلق والأمر ، وفي كل ما يحويه الكون وفيما يتوافر فيه من العجائب والآثار لكمال قدرته ، وجمال صنعته ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ .

ومن أجل ذلك كان خلق الإنسان بتصميم وتقدير العناصر والأجزاء المختلفة للحياة وبتركيب قوى العقل والقلب ومصادر التفهم والتفكير في الأوضاع التي سيواجهها عبر رحلة الحياة ، والأجواء والظروف التي سيعيشها طوال بقائه في العالم المادي ، وتبادل المنافع بين إنسان وآخر ، وبناء أفضل مجتمع يجتمع فيه الناس على صعيد واحد من العبودية والخضوع لله تعالى والعمل بأحكامه المفهومة من خلال تعاليم الأنبياء والرسل وتوجيهاتهم للدنيا والآخرة .

فأولاً مراحل خلق الإنسان مع مراعاة طبيعة الكون والإنسان ، ومعرفة الكيفية التي تدعو إلى إرساء قواعد القدرة الهائلة وتعمل في إتمام بناء الإنسان مع الإشارة إلى مصيره ثم بعثه يوم القيامة ، كما أنه يذكر بما يحتاج إليه الإنسان بعد خلقه ، من السماوات السبع التي هي قائمة بدون عمد ، وهي من احتياجات الإنسان فور مجيئه إلى الدنيا وهي التي تنـــزل منها أمطار غزيرة تستقر مياهها في الأرض وتسبب الحياة لا للإنسان ولذوات الروح من الخلق وحدهما بل تكون سبباً لوجود جنات ومزارع وحقول وأشجار وأنواع الفواكه الكثيرة التي تنمي الحياة وتزين الأرض وتوفر الأرزاق وتحقق حاجات الناس ، إقرأوا ما قد قال الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم :

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ سُلاَلَة مِنْ طِين * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِين * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ * وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنْ الْخَلْقِ غَافِلِينَ * وَأَنزَلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَاب بِهِ لَقَادِرُونَ * فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَاب لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (سورة المؤمنون الآيات/١٢ – ١٩) .

وإذا تأملنا في الآيات المذكورة أعلاه لوجدنا فيها غذاءً دسماً للعقل والقلب والعاطفة معاً ، وأدركنا قدرة كاملة لقادر ليس له ندّ ولاشريك ويتمثل أمامنا صانع لا مثيل له أبداً ، وهو يخلق نطفة من ماء ثم يتناولها بيد من القدرة العظيمة فيصورها في صور كثيرة بين فترة وأخرى ، يربيها وراء ظلمات ثلاث ، فلما تم ما أراده الله من حسن التقويم وآن له أن يظهر في شكل وجود إنساني يكبر مع الزمن جسماً وعقلاً ، ودراية وتمييزاً بين ما هو خير أو شر وبين ما هو صواب أم خطأ ، ثم يبحث عنهما في ضوء البرهان الواقعي الذي يفتح له الطريق إلى المنافع العاجلة والآجلة ويجمع بينهما بالاتزان الكامل فيعطي ما تطالبه الدنيا حقها وللآخرة حقها ، ويمثل حياة نموذجية وطريقاً وسطاً يودي إلى سعادتي الدين والدنيا ، ويقيه من كل عوج وزيغ أو فساد وعصيان .

كما أن هناك جماعة من الطغاة والعصاة ممن كفروا بالله تعالى يرون كل شيء بعين من المصادفات المادية فيظنون أن العالم وكل ما فيه من الكائنات إنما هو نتيجة للمصادفات الزمنية وليس هناك خالق مدبر ينظم ويقدر كل صغير وكبير من قبل ، وليس بيده السلطة الدائمة على كل ما في هذا الكون من المخلوقات وإن كان ذرة من الرمال والجبال والأرض أو كان مما يتعلق بالآيات الباهرة والآثار الظاهرة ، والطاقات القاهرة ، على أن ذلك هو الإنسان الذي لم يكن شيئاً ثم خلقه الله تعالى بصنعته العجيبة ، وأكرمه بالسمع والبصر والعقل والقلب والجوارح الظاهرة والعواطف الخفية وقد صرح بذلك الله سبحانه في القرآن الكريم فقال وقد ميز بين الطائفتين من المؤمنين والكافرين :

﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً * إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً * إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاَسِلَ وَأَغْلاَلاً وَسَعِيراً * إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً * عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً * يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً﴾ (سورة الإنسان الآيات/١ – ٧) ، وقد تحدث الله سبحانه عن كفرانه نعمة

الإنسانية وما خلع عليه من لباس الكرامة والسعادة ، وذكّره بالنطفة المذرة النجسة التي خلقه منها حتى يفكر في قدرة الله تعالى الذي خلقه فقدره ثم السبيل يسره ، فإما إلى سعادة دائمة ، وإما إلى شقاء مستمر ، والموت واقف بالمرصاد لا يتقدم ولا يتأخر ثم يواريه التراب ويعيش فيه إلى فترة لا يعلمها إلا الله سبحانه ، ثم يأتي يوم النشور ، ورغماً من كل ذلك لم يقض ما أمر به إلى الآن ، فلا مناص من أن ينظر الإنسان إلى طعامه بأي طريق هيأه الله تعالى للعيش في هذه الدنيا ووفر له فيها من الفواكه والثمار وأنواع من اللذات ، وفيها رزق له ومتاع للأنعام والخلق الآخر" وإليكم آيات من سورة عبس :

﴿قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نُطْفَةٍ ، خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ * كَلاَّ لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ * فَلْيَنْظُرْ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبّاً * ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقّاً * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبّاً * وَعِنَباً وَقَضْباً * وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً * وَحَدَائِقَ غُلْباً * وَفَاكِهَةً وَأَبّاً * مَتَاعاً لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾ (سورة عبس الآيات/٢٧ – ٣٢) .

وبعد توفير هذه النعم من الأرزاق والثمار مع مواجهة الحقائق من الموت ، والقبر والنشور والحساب ، إذا طغى الإنسان وبغى وجال وصال وآثر الحياة الدنيا فمصيره الجحيم ، ولكن الذي خاف مقام ربه وانتهى عن الأهواء والترامي على الشهوات الفاسدة فإن له الجنة يأوى إليها ويقيم فيها ، ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (سورة النازعات الآيات/٣٧ – ٣٩) .

ومن ثم يتوزع الإنسان بين نوعين ، بين المؤمن والكافر ، فأما المؤمن بالله ورسوله والخاضع أمام أوامر الله ونواهيه مهما كانت الأوضاع والظروف ، فهو الذي يحمل معنى مصداقية الإيمان ، ويتميز عن غيره في الصفات الإيمانية جميعاً وينطبق عليه قول الله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (سورة الحجرات الآية/١٥) .

وهناك النوع الآخر من ذلك الإنسان الذي يقول : ﴿أَئِذَا مَا متُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيّاً * أَوَلا يَذْكُرُ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً *

فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيّاً * ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيّاً﴾ (سورة مريم الآيات/٦٦ – ٦٩) .

وكذلك ينقسم الإنسان إلى قسمين ، وقد فسرهما الله تعالى في سورة المعارج بوضوح ، فقال : ﴿إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً * إِلاَّ الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ * وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ * وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ * وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُوْلَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ﴾ (سورة المعارج الآيات/٢٩ – ٣٥) .

فالصلاة التي هي نتيجة الإيمان ، والتي هي سابقة الأعمال الصالحة تأتي في رأس قائمة الأعمال للإنسان المؤمن ، وهي تتكفل بالوازع الديني للمرء المسلم ، وتقيه من كل ما يؤدي إلى غضب الله تعالى ، وهي التي تنهى عن الفحشاء والمنكر ، يقول الله تبارك وتعالى :

﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ (سورة العنكبوت الآية/٤٥) .

وقال : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ وقال : ﴿وَأَقِمْ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ .

والصلاة هي أول فريضة بعد شهادة الإيمان ، كما جاء في البخاري "عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان" ولذلك كانت الصلاة عماد الدين يرتفع عليه صرح الحياة للإنسان المسلم .

سعيد الأعظمي الندوي

١٤٣٤/٠٣/١٤هـ ٢٠١٣/٠١/٢٧م

التوجيه الإسلامي:

من وصايا الآباء لأبنائهم

بقلم : الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة "البحوث الإسلامية" الرياض – (المملكة العربية السعودية)

يهتم الآباء بأبنائهم ، توجيهاً وإرشاداً ونصحاً ، لأنهم ثمرة قلوبهم ، ومناط فخرهم ، إذا كانوا نجباء وصالحين ، وترى منهج ذلك في القرآن الكريم ، فهذا أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام يقول : ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ (سورة إبراهيم الآية/٣٥) ، وهذا نوع يدافع عن ابن ليكون من الناجين من الفرق ، ظاناً أنه قد شمله وعد الله بالنجاة ، وهذا لقمان الحكيم ينصح ابنه بما فيه فلاحه وصلاحه" وغير ذلك كثير .

ونختار في هذا المجال ، واحدة من النصائح ، ذكرها ابن حبان البُستي المتوفى عام ٣٥٤هـ في كتابه روضة العقلاء : وهي وصية الخطاب لابنه فقال :

يا بني عليك بتقوى الله وطاعته ، وتجنب محارمه باتباع سنته ، ومعالمه حتى تصح عيوبك ، وتقر عينك ، فإنها لا تخفى على الله خافية ، وإني قد وسمت لك وشما ، ووضعت لك رسماً ، إن أنت حفظته ووعيته ، وعملت به ملأت أعين الملوك ، وانقاد لك به الصلعوك ، ولم تزل مرتجيً مشرفاً يحتاج إليك ، ويرغب إلى ما في يديك ، فأطع أباك واقتصر على وصية أبيك ، وفرغ لذلك ذهنك ، واشغل به قلبك ولبك ، وإياك وهذر الكلام ، وكثرة الضحك ، والمزاح ، ومهازلة الإخوان ، فإن ذلك يذهب البهاء ، ويوقع الشنحاء ، وعليك بالرزانة والتوقر ، من غير كبر يوصف منك ، ولا خيلاء تحكى عنك ، والق صديقك ، وعدوك بوجه الرضا ، وكف الأذي ، من غير ذلة لهم ولا هيبة منهم ، وكن في جميع أمورك في أوسطها ، فإن خير الأمور أوساطها ، وقلل الكلام ، وأفش السلام ، وامش متمكناً قصداً ، ولا تخط برجلك ، ولا تسحب ذيلك ولاتلّون عنقك ولا رداءك ، ولا تنظر في عطفك ، ولا تكثر الالتفات ، ولا تقف على الجماعات ،

ولا تتخذ السوق مجلساً ، ولا الحوانيت متحدثاً .

ولا تكثر المراء ، ولا تنازع السفهاء ، فإن تكلمت فاختصر ، وإن فرحت فاقتصر ، وإذا جلست فتربع ، وتحفظ من تشبيك أصابعك وتفقيهاً ، والعبث بلحيتك وخاتمك ، وذؤابة سيفك ، وتخليل أسنانك ، وإدخال يدك في أنفك ، وكثرة طرد الذباب عنك ، وكثرة التثاءب والتمطّي ، وأشباه ذلك مما يستخفه الناس ، ويفتخرون به فيك .

وليكن مجلسك هادياً ، وحديثك مقسوماً ، وأصنع لي الكلام الحسن ممن حدثك ، بغير إظهار عجب منك ، ولا مسألة إعادة ، وغض عن الفكاهات ، من المضاحك والحكايات ، ولا تحدث عن إعجابك بولدك ولا جاريتك ، ولا عن فرسك ولا عن سيفك ، وإياك وأحاديث الرؤيا ، فإنك إن أظهرت عجباً بشيء منها ، طمع فيها السفهاء ، فولدوا لك الأحلام ، أو اغتمزوا في عقلك ، ولا تصنع تصنُّع المرأة ، ولا تبذل تبذل العبد ، ولا تنتف لحيتك ولا تبطنها ، وثوق كثرة الحف ، ونتف الشيب ، وكثرة الكحل ، والإسراف في الدهن ، وليكن كحلك غباً .

ولا تلح في الحاجات ، ولا تخشع في الطلبات ، ولا تعلم أهلك وولدك – فضلاً عن غيرهم – عدد مالك ، فإنهم إن رأوه كثيراً لم تبلغ به رضاهم ، وإن رأوه قليلاً هنت عليهم ، وأخفهم من غير عنف ولن في غير ضعف ، ولا تهازل أمتك وخادمك ، وإذا خاصمت فتوفر ، وتحفظ من جهلك ، وتجنب عن عجلتك ، وتفكر في حجتك ، وأر الحاكم شيئاً من حلمك ، ولا تكثر الإشارة بيدك ، وأنت تتحدث ، ولا تحفّز على ركتبيك ، وتوق حمرة الوجه ، وعرق الجبين .

وإن سفه عليك فاحلم ، وإذا هدأ غضبك فتكلم ، وأكرم عرضك ، وألق الفضول عنك ، وإن قربك سلطان فكن منه على حد السنان ، وإن استرسل إليك فلا تأمن من انقلابه عليك ، وارفق به رفقك بالصبي ، وكلمه بما يشتهي ، ولا يحملنك ما ترى من إلطافه إليك ، وخاصته بك ، أن تدخل

بينه وبين أي أحد من ولده وأهله وحشمه ، وإن كان لذلك منك مستمعاً ، والقول منك مطيعاً ، فإن سفطة الداخل بين الملك وأهله صرعةٌ لا تنهض ، وزلة لا تقال .

إذا وعدت فحقق ، وإذا حدثت فأصدق ، ولا تجهر بمنطقك كمنازع الأصم ، ولا تخافت به كتخافت الأخرس ، وتخير محاسن القول بالحديث المقبول ، وإذا حُدثت بسماع فانسبه إلى أهله ، وإياك الأحاديث العابرة المشنّعة التي تنكرها القلوب ، وتقف لها الجلود ، وإياك ومضعف الكلام مثل : نعم نعم – ولا ولا ، وعجل عجل ، وما أشبه ذلك .

وإذا توضأت فأجد عرك كفيك ، وليكن وضعك الأشنان في فيك ، كفعلك بالسواك ، لا تنخع في الطشت ، وليكن طرحك الماء من فيك مسترسلاً ، ولا تمج فتنضح على أقرب جلسائك ، ولا تعض نصف اللقمة ثم تعيد ما بقي منها ، فإن ذلك مكروه ، ولا تكثر الإستسقاء على مائدة الملك ، ولا تعبث بالعظم ، ولا تعب شيئاً مما يقرب إليك على مائدة : بقلة خل أو تابل أو عسل ، فإن السحابة قد صيرت لنفسها مهابة .

ولا تمسك إمساك المثبور ، ولا تبذر تبذير السفيه المغرور ، واعرف في مالك واجب الحقوق ، وحرمة الصديق ، واستغن عن الناس ، يحتاجو إليك ، واعلم أن الجشع يدعو إلى الطبع ، والرغبة كما قيل تدق الرقبة ، ورب أكلة تمنع أكلات ، والتعفف مال جسيم ، وخلق كريم ، ومعرفة الرجل قدره ، تشرف ذكره ، ومن تعدى القدر ، هوى في بعيد القعر ، والصدق زين ، والكذب شين ، ومعاداة الحليم ، خير من مصادقة الأحمق ولزوم الكريم على الهوان ، خير من صحبة اللئيم على الإحسان ، وزوجة السوء الداء العضال ، ونكاح العجوز يذهب بماء الوجه ، وطاعة النساء ، تزري بالعقلاء .

وتشبه بأهل العقل تكن منهم ، وتصنع للشرف تدركه ، وأعلم أن كل امرئ حيث يضع نفسه ، وإنما ينسب الصانع إلى صناعته ، والمرء يعرف بقرينه ، وإياك وإخوان السوء ، فإنهم يخونون من رافقهم ، ويحزنون من

صادقهم ، وقربهم أعدى من الجرب ، ورفضهم من استكمال الأدب ، واستخفاء المستجير لؤم ، والعجلة شئوم ، وسوء التدبير وهن ، والإخوان إثنان : فمحافظ عليك عند البلا ، وصديق له في الرخاء ، فاحفظ صديق البلاء ، وتجنب صديق العافية ، فإنهم أعدى الأعداء .

وتوق الفساد ، وإن كنت في بلاد الأعادي ، ولا تفرش عرضك لمن دونك ، ولا تجعل مالك أكرم عليك من عرضك ، ولا تكثر الكلام ، فتثقل على الأقوام ، وامنح البشر جليسك والقبول لمن لاقاك .

وإياك وكثرة التبريق والتزليق ، فإن ظاهر ذلك ينسب إلى التأنيث ، وإياك والتصنع في مغازلة النساء ، وكن متقرباً متعززاً منتهزاً في فرصتك ، رفيقاً في حاجتك ، متثبتاً في حملتك ، والبس لكل دهر ثيابه ، ومع كل قوم شكلهم ، واحذر ما يلزمك اللائمة في آخرتك ، ولا تعجل في أمر حتى تنظر في عاقبته ، ولا ترد حتى ترى وجه المصدر (ص/١٩٨- ٢٠١) .

نكتفي بهذا القدر من هذه الوصية ، ذات المعاني الجزلة ، والآداب الرفيعة ، التي محض بها ابنه لكي يرتفع بذلك قدره ، ويعلو عند الناس ذكره .

والإمام الشافعي رحمه الله ، فيما نسب إليه ، يؤكد على أهمية نجابة الأولاد ، واعتزاز الآباء بذلك ، ببيت شعر :

نعم الإله على العباد كثيرة وأجلـهن نـجابة الأولاد

وليت كثيراً من آباء هذا الزمان ، الذين غفلوا عن أولادهم ، أن يأخذوا من أمثال هذه الوصايا التي اهتم بها من قبلنا ، منهجاً توجيهياً ، ونصائح جاهزة ليقدموها لأبنائهم ، ليتأدب الجميع بذلك ، حتى يتكون المجتمع الصالح ، ويسلم الشباب من التقليد ، والإنقياد للأفكار الضالة ، التي تضرّ بالأمة ، ويفرح بها الأعداء .

زوال النعم :

يقول الشاعر وينسب هذا البيت للإمام الشافعي رحمه الله :

إذا كنت في نعمة فارعها فإن المعاصي تزيل النعم

وإدامة النعمة يتم بشكرها ، والعرفان لله سبحانه بالفضل ، ويضرب المسعودي في كتابه التاريخي "مروج الذهب" : بما وصلت إليه "حرقة بنت النعمان" ، من نعمة وعز ثم زالت ، فقد قال : قد كانت حرقة بنت النعمان ابن المنذر ، إذا خرجت إلى بيعتها ، يفرش لها طريقها بالحرير والديباج ، يغشي بالخز والوشي ، ثم تقبل في جواريها ، حتى تصل إلى بيعتها ، وترجع إلى منـــزلها .

فلما هلك النعمان نكبها الزمان ، فأنزلها من الرفعة إلى الذلة ، ولما وفد سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وفتح القادسية ، وصار أميراً عليها بعد أن هزم الله الفرس ، وقتل رستم .

فأتت حرقة بنت النعمان ، في حفدة من قومها وجواريها ، وهنّ في زيها ، عليهن المسوح والمقطعات السود ، في حالة بؤس مترهبات ، تطلب صلته ، فلما وقفن بين يديه ، انكرهن سعد فقال : أفيكن حرقة ؟! قالت : ها أناذه ، قال : أنت حرقة ؟ قالت : نعم ، فما تكرارك في استفهامي ؟ ثم قالت : إن الدنيا دار زوال ، ولا تدوم على حال ، تنتقل بأهلها انتقالاً ، وتعقبهم بعد حال حالاً ، كنا ملوك هذا المصر ، يجـبى لنا خراجه ، ويطيعنا أهله ، مدى المدة ، وزمان الدولة ، فلما أدبر الأمر ، وانقضى صاح بنا صائح الدهر ، فصدع عصانا ، وشتت شملنا ، وكذلك الدهر يا سعد ، إنه ليس يأتي قوماً بمسرة ، إلا ويعقبهم بحسرة ، ثم أنشأت تقول :

فبينا نسوس الناس والأمر أمرنا إذا نحن فيهم سوقة ليس نعرف

فبينا هي واقفة بين يدي سعد ، إذ دخل عمرو بن معديكرب ، وكان زواراً لأبيها في الجاهلية ، فلما نظر إليها قال : أنت حرقة ؟ قالت : نعم ، قال : فما دهمك فأذهب محمودات شيمك ؟ وأين تتابع نعمتك ، وسطوات نقمتك ؟ فقالت : يا عمرو إن للدهر لسطوات ، وعثرات وعبرات ، تعثر بالملوك وأبنائهم ، فتخفضهم بعد رفعة ، وتفردهم بعد منعة ، وتذلهم بعد عزة ، إن هذا كنا ننتظره ، فلما حل بنا لم ننكره فأكرمها سعد وأحسن إليها .

[مروج الذهب ٢ : ٧٩ – ٨٠]

حقيقة الإيمان الشرعية

بقلم : الدكتور علي بن عبد العزيز بن علي الشبل
المدرس بكلية أصول الدين بجامعة الإمام ، الرياض

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى ، فاللهم لك الحمد كله ولك الشكر كله وإليك يرجع الأمر كله ، فالحمد لله حمداً يكافئ النعم ويوافي المزيد منها ، نحمده سبحانه ونثني عليه حيث هدانا للإيمان ، وجعله لنادينا ، وارتضاه علينا ملة واعتقاداً .

وأصلي وأسلم على عبده ورسوله نبينا محمد الذي هدى الله به إلى الإيمان ، ودل به صراطه المستقيم فأوضح الحجة وأقام المحجة ، فجزاه الله عنا أعظم ما جزى نبينا عن أمته .

أيها المؤمنون إن حقيقة الإيمان الشرعية ، مسألة مهمة تحتم بيانها لما انحرف فيها المخالفون في مسألة الإيمان .

إن الإيمان – معشر الاخوة – يقوم بالإجماع على أركان محددة فهو قول باللسان ، واعتقاد بالجنان وهو لقلب ، وعمل بالأركان هي الجوارح وأنه يزيد بطاعة الرحمن ، وينقص بطاعة الشيطان .

إن هذه الحقيقة للإيمان ، حقيقة مهمة وأساس لا بد منه للثبات على الإيمان الصحيح ، والحذر من المزالق والبدع الصارفة عن هذا الأصل العظيم من أصول الدين ، فلما سأل جبريل محمداً ﷺ عن الإيمان بقوله : "أخبرني عن الإيمان ، قال : الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره" (متفق عليه) .

فالإيمان مركب في فهمه ومن ثم اعتقاده من حقيقة شرعية هي ما سبق من كون قول وعمل واعتقاد يزيد وينقص ، وحقيقته اللغوية كما وردت في كلام الله عزوجل وسنة رسول الله ﷺ ، فضلاً عن لغة العرب ، فإن مفهوم الإيمان لغة هو الإقرار المستلزم للإذعان والتسليم لما يؤمن به من الغيب والشاهد ، وقد انحرف في

هذا الموضوع كما انحرف في حقيقته الشرعية ، المبتدعة من أهل الأهواء .

معنى الإيمان لغة :

زعم كثير من المتكلمين وغيرهم ؛ بل هو العمدة عند جماهير المرجئة أن الإيمان في مفهوم اللغة العربية هو مجرد التصديق ، استدلالاً بقوله تعالى في أول سورة يوسف ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ (سورة يوسف الآية/١٧) فمعناها : بمصدق لنا .

والجواب أن معنى الإيمان في اللغة ليس مرادفاً للتصديق ، بل التصديق وزيادة ، من الإقرار والإذعان والتسليم ونحوها .

لعدة اعتبارات :

١ - أن معنى الآية في الحقيقة : ما أنت بمقر لنا ، ولا تطمئن إلى قولنا ولا تثق به وتتأكد منه ولو كانوا صادقين ، فإنهم لو كانوا كذلك فصدقهم لم يتأكد ويطمئن إلى قولهم ، وهذه بلاغة ولغة .

٢ - أن لفظة الإيمان يقابلها الكفر وهو ليس التكذيب فقط بل قدر زائد عليه إنما الكذب يقابل لفظة التصديق ، ولما كان الكفر ليس هو التصديق تماماً ، فكذلك ما يقابل الكذب ، وهو الإيمان لا يقابل التصديق .

٣ - أن لفظ الإيمان لا يستعمل في جميع الأخبار المشاهدة وغيرها ، وإنما يستعمل في الأمور الغائب مما يدخلها الريب والشك ، فإذا أقرّ بها المستمع ، قيل آمن بخلاف التصديق ، فإنه يتناول جميع الأخبار ، وأخوة يوسف أخبروا آباهم عن غائب غير مشاهد فصح أن الإيمان أخص من التصديق .

٤ - أن لفظ الإيمان تكرر في الكتاب والسنة كثيراً جداً ، وهو أصل الدين الذي لا بد لكل مسلم من معرفته ، فلا بد أن يؤخذ معناه من جميع موارده التي ورد فيها من الوصيين لا من آية واحدة الاحتمال ، متطرق في دلالتها .

٥ - أن الإيمان ليس مرادفاً للتصديق لا لغة ولا معنى :

الف - فأما اللغة فقد مضت في الجواب الثالث .

ب - أما المعنى : فإن الإيمان مأخوذ من الأمن وهو الطمأنينة ، كما أن لفظ الإقرار مأخوذة من قر يقر ، وهو قريب من آمن يأمن .

وأما الصدق فهو عدم الكذب ولا يلزم أن توافقه طمأنينة إلا إذا كان

الصادق يطمئن إلى خبره وحاله .

ج - أن لفظ الإيمان يتعدى إلى غيره باللام دائماً نحو قوله تعالى ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ﴾ (سورة العنكبوت الآية/٢٦) وقول فرعون في القرآن (آمنتم له قبل أن آذن لكم) وقوله تعالى في يونس ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ﴾ (سورة يونس الآية/٨٣) وقوله ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ (سورة المومنون الآية/٤٧) وقوله ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ (سورة الشعراء الآية/١١١) وآيات عديدة .

أما لفظ التصديق وصدق يصدق فإن يتعدى بنفسه نحو :

قوله تعالى في الصافات ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة الصافات الآية/١٠٥) .

وفي أولها ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ .

وفي سورة الزمر ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾ (سورة الزمر الآية/٧٤) ، قالها بمقابل الكذب .

٦ - لو فرضنا أن معنى الإيمان لغة التصديق ، لوجب أن لا يختص بالقلب فقط بل يكون تصديقاً باللسان ، وتصديقاً بالجوارح كما في حديث أبي هريرة السابق (العينان تزنيان) الحديث .

٧ - كذلك لو قلنا إن الإيمان أصله التصديق ، فإنه تصديق مخصوص ، كما أن الصلاة دعاء مخصوص ، والصوم إمساك مخصوص يتبين بالمعنى الشرعي حيث يكون للتصديق لوازم شرعية دخلت في مسماه .

وبهذا نعلم مفارقة الإيمان لغة لمجرد التصديق ، بل الإيمان في اللغة هو التصديق وزيادة الإقرار والإذعان اللهم اجعلنا من أهل الإيمان حقاً وأهل الإيمان صدقاً وثبتنا على الإيمان حتى نلقاك وأنت راض عنا ، والله أعلم .

أسباب زيادة الإيمان ونقصانه :

فإن الإيمان لما كان مبناه على أركان ثلاثة : عقد في القلب وقول باللسان وعمل بالجوارح ، وبالتالي يزيد بزيادة هذه الأركان الثلاثة وينقص بنقصها أو يضمحل باضمحلالها ، ولذا نتذاكر مع القراء ، وهي الأسباب التي إذا حصلها العبد وسعي في طلبها وفعلها تقرباً إلى الله زاد إيمانه بذلك ، وإن كان على ضدها نقص ، ومنها :

١ - التقرب إلى الله والتعرف إليه بتحقيق التوحيد بألوهيته وربوبيته وأسمائه الحسنى وصفاته العلى .

فإنه ولا شك كلما ازداد العبد لها تحقيقاً ازداد إيماناً .

٢ - فعل الفرائض والنوافل والإحسان فيها والإصابة في صفاتها والمكاثرة والمسارعة والمداومة في ذلك .

٣ - ترك المعاصي والمنهيات تقرباً إلى الله وابتغاء وجهه سبحانه .

٤ - النظر والاعتبار في آيات الله الشرعية ، ومنها العلم ، وآياته الكونية ، المورث للعلم والعمل ولين القلب ، وأهم أسباب ذلك التفكر والتأمل والتدبر لكتاب الله وتنـــزيله وهداه وبيان القرآن بقلب حاضر وذهن مقبل ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ .

٥ - الإقبال على الدار الآخرة والسعي لها ، والزهد في الدنيا والإعراض عن زخرفها بملاحظة ما أعده الله لعباده الصالحين المستكملين للإيمان ، وما أعده لأضدادهم .

٦ - التزام السنة النبوية والعض عليها بالنواجد ولومع قلة المعاون علماً وفهماً وعملاً ودعوةً وصبراً ومصابرة حتى يأتي اليقين وهو الموت ، كما أمر الله ورسوله ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ .

٧ - كثرة سؤال الله والتضرع إليه بالثبات على دينه ، وحسن العاقبة وسؤاله الهداية وحسن العمل وقبوله والاستزادة من الخير ، والاطّراح بين يديه لا سيما في الأوقات الفاضلة المستجابة .

هذا والمخالفون في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه .

وهم طوائف ، ولربما توحد قولهم في هذه المسألة لكن اختلفت بينهم حقيقته ، ومنهم :

١ - المرجئة وقالوا الإيمان لا يزيد ولا ينقص ، واعتبر زيادته في الآيات والأحاديث تجد أمثاله (١) .

---

(١) انظر الإيمان ٢١١ - ٢٤ ، و ٣٨٤ و ٣٩٠ والفرقان بين الحق والباطل ٥٢/١٣ وما بعدها ، الإيمان الأوسط ٥٦٢/٧ وما بعدها .

٢ - الوعيدية من الخوارج والمعتزلة ، فقالوا : الإيمان يزيد ولا ينقص ، لأنه لا يتبعض فنقصه ذهابه كله .

أما تجويزهم زيادته فمن جهة اختلاف الناس في وجوب التكاليف في وقت وحال دون أخرى (٢) .

والحق كما سبق أن الإيمان يزيد بالطاعات حتى يكتمل ، وينقص بالمعاصي والذنوب حتى يزول بالكفر .

وأعرض هنا المروي عن الإمام مالك في زيادة الإيمان ونقصانه .

وعن غيره من الفقهاء من أتباع التابعين - فإن الإمام مالكاً في رواية عنه أنه لم يوافق في إطلاق النقصان على الإيمان .

فإنه في رواية محمد بن القاسم عنه توقف من النقصان ولم يقل به .

ووافقه على ذلك جماعة من الفقهاء لأنهم وجدوا ذكر الزيادة في القرآن ولم يجدوا ذكر النقص .

وبعض السلف رحمهم الله عدل عن لفظ الزيادة والنقصان إلى لفظ التفاضل ، فقال : أقول الإيمان يتفاضل ويتفاوت .

ويروى هذا عن عبد الله بن المبارك (٣) ، كما يروى عنه موافقة الجمهور من السلف بالقول بزيادته ونقصانه كما حكاه عنه النووي (٤) .

هذا وقد أجاب العلماء عن قول الإمام مالك السابق من التوقف بالنقصان بعده أجوبة ، منها :

---

(٢) ذكر هذين القولين ها هنا أبو جعفر ابن جرير في التبصير في معالم الدين ١٩٥ وما بعدها ، وقول الخوارج قالت به الإباضية كما في جامع البسيوي ٢٣٧/١ - ٢٣٩ ، والمشارق للنور السالمي ٣١٢/١ ، وانظر متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار ٣١٢/١ .

(٣) ذكره الشيخ أبو العباس ابن تيمية في الإيمان الأوسط ٥٠٦/٧ - ٥٠٧ وقال معقب على قول ابن المبارك : "وكان مقصوده الإعراض عن لفظ وقع فيه النـــزاع إلى معنى لاريب في ثبوته انتهى ، مما يفيد أن المسألة لفظية لا طائل من النـــزاع فيها ، وقول ابن المبارك : إن الإيمان قول وعمل ويتفاضل ، رواه عبد الله بن أحمد في السنة ٢١٦/١ .

(٤) شرح صحيح مسلم ١٤٦/١ .

١ - أن لفظ الزيادة ورد في النصوص ، دون لفظ النقصان ، فلم يقل به ، وهذا جواب قاله الشيخ ابن تيمية لمالك ومن وافقه .

٢ - توقف مالك بالنقصان لئلا يكون شكا مخرجاً عن اسم الإيمان .

٣ - أو لئلا يتأول القول بالنقصان على قول الخوارج والوعيدية الذين يكفرون بالمعاصي ويخرجون بها عن الإيمان ، وهذان الجوابان حكاهما النووي في شرحه لمسلم .

٤ - ربما كان قوله ذلك قديماً ، رجع عنه بعد ذلك ولا سيما بعد تأمله محال المرجئة وبدعتهم ، لما عرف عنه بعد من رده عليهم ، وإنكاره عليهم ، كما أنكر على حماد بن أبي حنيفة وغيرهم ، منهم المرجئة .

وعلى كل حال فإن الاحتمالات لامتطرقة للرواية التي توقف فيها مالك عن القول بنقصان الإيمان ، وهي رواية محمد بن القاسم .

كيف وقد روى جمهور أصحابه روايات أخرى ، صرح فيها الإمام مالك بزيادة الإيمان ونقصانه ، كما في رواية عبد الرزاق بن همام الصنعاني وعبد الله بن وهب ، ومعمر بن عيسى ، وعبد الله بن نافع (٥) .

فعلى هذه الروايات الكثيرة عنه العمل ، وهي دافعة لما يرد الأولى من الاحتمالات والتأويل .

قال شيخ الإسلام بن الأوسط : وهذه إحدى الروايتين عن مالك ، إلا أن الأخرى عنه ، وهي المشهورة عند أصحابه ، كقول سائرهم (يعني الأئمة) : أنه يزيد وينقص (٦) .

وفق الله الجميع للعلم النافع والعمل لصالح والتزام السنة والثبات عليها والعمل بها والدعوة إليها ، وأوزعنا وإياكم شكر نعمته .

---

(٥) انظر هذه الروايات في التمهيد لابن عبد البر ٩/٢٥٢ ، ومسائل الإمام أحمد لأبي داود ١١٣ والسنة ، لعبد الله بن أحمد ، ٨٧ ورسائل الإمام أحمد لأبي داؤد/١١٣ والشريعة للآجري ١١٨ وشرح أصول السنة لالطائي ٥/٩٥٧ وشرح مسلم للنووي ١/١٤٦ - ١٤٧ .

(٦) في الإيمان الأوسط ضمن الفتاوى ٧/٦ - ٥ .

****

السلوك التربوي في المنظور القرآني

بقلم : الدكتور جمال الدين الفاروقي
وبناد ، كيرالا

إن قضية التربية أصبحت هي المجال الأكثر أهمية في العالم المعاصر ، تنفق الدول والجماعات الملايين في تحسين سبلها وتجديد وسائلها وتطوير البرامج المتقدمة ليستفيد منها الدارسون والمدرسون على حد سواء ، وقد تنوعت الاتجاهات وتعددت الرؤى بين المتخصصين ، وقد ورد في المؤلفات الكلاسيكية عدة اتجاهات للعمل في هذا المجال ، ولكنها لم تعد قادرة على النهوض بأعبائها بحيث يفيد الأفراد والمجتمع ، والكثير منها تكتفي بتقديم النظريات التي لا تناسب طبيعة البشر ، والقرآن الكريم هو الوحيد الذي يقدم لنا الوسائل الناجحة في مجال التربية ، وفيه توجيهات وإرشادات يمكن تطبيقها والعمل بها دون أن يجلب على الأفراد أي ضرر أو ضرار .

والتربية في جميع مراحلها تتطلب منهجاً قويماً ثابتاً ينبغي أن يسترشد بالاتجاهات الإلهية الربانية قبل بنائه على التجارب الشخصية المدروسة ، وينطلق السلوك التربوي القرآني من عدة نقاط :

١ - النـــزعة الطبيعية في الإنسان نحو المعرفة كما تجسدها الآية الكريمة : ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (سورة البقرة الآية/٣١) ، والله تعالى علم الأسماء ليس فقط آدم ، بل إن كل بني آدم يعيش فوق الأرض بهذه القابلية ، يتشوق عقله نحو المجهول ، ويستطلع على الأسرار والخبايا ، حتى ينال منها العلوم الجديدة ، والقرآن أيضاً بقول عما منّ الله به على الإنسان : ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ (سورة الرحمن الآية/٤) ، والبيان في الإنسان لا يتولد إلا بغرس العلوم والمعارف في ذهنه وينشطها ويطورها على حسب الحاجة والمتطلبات .

٢ - الآيات السبع الأولى المنـــزلة على النبي ﷺ في مطلع سورة (اقرأ) تمثل المصادر الأساسية والأصلية للمعارف والعلوم ، كما توضح الأهداف منها ، وهي تعلمنا : لم نكتسب العلوم ، وما هو المنهج الأمثل لاكتسابها والاستفادة

منها ، والإنسان إذا نسي هذه الحقائق يتدهور وتتلاشى جهوده بلا جدوي ، ونزعة الاستغناء المشار إليها في نهاية هذه الآيات تشير إلى الانحطاط العلمي الذي يترتب على سوء استخدام آلاتها والتساهل في تعيين أهدافها ، وما دام الإنسان يعيش في محيط الانحطاط فإنه يقوده عقله وإدراكه إلى الطغيان والفساد في الأرض ، يضل بنفسه ويضل الآخرين .

٣ - قصور الإنسان ونقصانه في مجال التحصيل العلمي ، والله القائل : ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (سورة الإسراء الآية/٨٥) ، ولا بد من الاعتراف بهذا القصور ، وليس هذا عيباً للإنسان ، بل وأكثر من ذلك أنه بشعوره بالقصور والنقصان يجب أن يهتدي بإيمانه ورشده إلى المصادر الأساسية للعلوم التي لا تصدر إلا من الله ، وهذه العلوم التي في ملكية الله ، لا يؤتي الإنسان منها إلا بقدر ، والله يقول : ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ﴾ (سورة البقرة الآية/٢٢٥) ، وكيف يستطيع الإحاطة بهذه العلوم الجمة التي لا يمكن الحصول عليها ولو أن له كرة أخرى إلى الأرض ، والله يقول : ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ (سورة لقمان الآية/٢٧) .

٤ - ضرورية وجود دافع إلهي وراء كل القراءات والدراسات ، وهذا الدافع ينقذه من الزيغ والزلل ويثبت جنانه أمام الأهوال والأغوال ، ويرشده إلى أن ينهل المزيد من العلوم ، كما يبصره بعيوبه ويطلع على المحاسن في هذا الكون ، فيكون الكون كله كتاباً مدروساً لديه ، وقد أجمع الأمة المسلمة على أن القرآن معجزة إلهية ، يبقى إعجازه إلى الأبد ، ولكن القرآن يؤكد لنا أن الكون هو أكبر منه إعجازاً ، والدراسة على هذه المفاهيم الطيبة يكون منتهاها إلى البر والإحسان ثم إلى الجنة ، كما يتجسد ذلك في قوله ﷺ وهو يقول : من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقا إلى الجنة (رواه مسلم) .

منهجية القرآن المعرفية :

والقرآن يقدم أمام الدارسين ثلاث طرق هامة للإفادة والاستفادة وهي : التأمل والتفكر والتدبر ، وهذا المنهج الدراسي يجعل التحصيل العلمي أكثر ثروة من حيث النظريات والتطبيقات ، والتأمل ينبغي أن يكون بالبصيرة

والباصرة مع الاستمرار والتأني ، وهو يقود صاحبه إلى استخلاص العبرة والاطلاع على أسرار العلوم .

أما التفكر فهو عبارة عن جولان الفكر في الأمور التي لها صورة عقلية ، ولا يستقيم التفكير ما لم يتم التأمل ، وبعبارة أخرى يمكن القول إن التفكر هو الذي يخلد المعلومات في الذهن وينقحها ويصقلها ويضيف إليها نظائرها ويولد منها الجديد .

وأما التدبر وهو النظر العقلي إلى عواقب الأمور ، وهو الذي يثبت الإنسان في الحق والصواب ، ويريه أخطار الباطل والكذب ، كما أن التدبر يدفعه إلى الاحتفاظ بالشغف العلمي طول الحياة ، ويجدر بنا أن نتذكر قول النبي ﷺ وهو يقول : اغد عالماً أو متعلماً أو مستمعا أو محباً فلا تكن خامساً فتهلك (رواه الطبراني) ، وهذا الحديث هو الآخر تتمثل فيه ملامح التأمل والتفكر والتدبر ، والدراسة في المنظور الديني لا تنتهي عند حد ، بل هي عملية مستمرة ينبغي أن تدوم حتى إلى آخر نفس يلفظه المسلم ، وفي وسع الإنسان أن يكون في أي واحد من المراحل الأربع المذكورة ، وإذا غفل وتساهل ونبذ العلوم والمعارف وراء ظهره فإن حياته تصير وبالا عليه وتضيع هناك كل جهوده ويخسر دنياه وأخراه .

وقد جاءت التفكر والتدبر والمشتقات منهما مرات وكرات في القرآن ، وكل سياق وردت فيه هذه الكلمات يحتاج لبذل مزيد من الجهود الذهنية والعقلية للاطلاع على عجائب خلق الله ، كما أن من الضرورة أن يصقل الإنسان قلبه وضميره بتقوى الله لكي يفتح أمامه مخازن العلوم ، ومرة جاء النبي ﷺ رجل أعرابي وسأله : يا رسول الله أريد أن أكون أعلم الناس ، فأجاب الرسول : اتق الله تكن أعلم الناس ، (رواه الحاكم في المستدرك) والظاهر أنه لا علاقة بين العلم والتقوى : إلا أن النبي ﷺ ربط الأول بالثاني ، إذ أن التقوى يراد به الشعور الدائم بأن الله معه وأنه مع الله ، وهذا الشعور بالذات يجب أن يتسلح به الدارس حين ينكب على العلوم ، والتقوى الحقيقية تفتح القلب ليرتع في مرابع العلوم ويغترف من نميرها .

والسلوك التربوي الذي جاء به الدين الحنيف له فوائد ذهنية وجسمية ،

يمكن أن يتمتع بها صاحبه في الدنيا ، ومع ذلك تبقى هي إلى يوم القيامة حيث يثاب عليه بأضعاف مضاعفة .

دور الحواس والقلب في تلقي العلوم :

إن الحواس في الإنسان لها دور في اكتساب العلوم والمعارف ، وهي — حسب النظرية المادية — تنتهي بموت الإنسان ، ولكنها في نظر القرآن لم تصمم لكي تقوم بالوظائف العضوية في الجسم الإنساني فحسب ، بل وأكثر من ذلك وهي مسؤولة أمام الله تعالى ، كما يشير إليه القرآن : ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ (سورة الإسراء الآية/٣٦) ، وهذه الحواس هي بمثابة البوابة إلى القلب ، والمعلومات تختزن في الذهن بالوظائف التي تقوم بها ، وما دامت الحواس يكتنفها الشعور بالمسؤولية الإلهية ، فإن كل شيء تحمله إلى الذهن يكون طاهراً نقياً ، يمكن التعبد به ، أما إذا كانت هذه الحواس تصرف همها إلى الجحود والنكران فإن صاحبها يتعرض لسلبيات خطيرة كما يقول تعالى : ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصَاراً وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (سورة الأحقاف الآية/٧) .

والقلب هو المحرك الرئيسي لجميع أعمال الإنسان ، ولذلك ينبغي أن يقر الإيمان والخشية فيه أولا ، لكي تستقيم الأفكار الصادرة منها ، يقول : ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ (سورة التغابن الآية/١١) ، والدراسة إذا كانت بقلب ملؤه إيمان وتقوى فإنها بلا شك تكسب للمؤمن من العلوم ما لايعلم ، وتزوده بقوة ويقظة دائمتين .

الجمع بين العلم والعمل :

أهم شيء في الممارسات التربوية هو الانسجام والوئام بين العلم والعمل ، وهو الوحيد الذي نفتقده في حياتنا المعاصرة والمتحضرة ، والرعيل الأول ممن تخرجوا من المدرسة النبوية أولوا بالغ الاهتمام بهذا كما ورد ذلك في الآثار : حدثنا الذين كانوا يقرأون القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي عشر آيات لم يجاوزوها حتى

يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ، قالوا : فتعلمنا القرآن والعلم والعمل ، ولهذا كانوا يبقون مدة في حفظ السورة (١) .

وقد قرن القرآن التعمق العلمي بالإنابة إلى الله والمبادرة إلى الأعمال الصالحات ، لأن الصالحات تحتضن العلوم والمعارف التي يكتسبها صاحبها ، تزيدها رواءً وبهاءً ، وعلى هذا الأساس قوله تعالى : ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ (سورة الزمر الآية/٩) .

والتعليم إذاً عملية اجتماعية ونشاط تهذيبي ، وهو لم يكن مجرد قدرات يحوزها الطالب للقراءة والكتابة ، ولا تتحقق التربية والتعليم إلا إذا كان الدارس يجمع في شخصيته القيم والأخلاق الفاضلة بجانب القدرات والمهارات العلمية والأكاديمية ، وقد أشار التربيون إلى أهداف أخرى ، ويأتي في إطارها تنمية الملكات الابداعية وتنشيط الذات وتهذيب المهارات الموهوبة والسيطرة عليها ، وغرس الوعي الاجتماعي وإيجاد روح التعاون والحفاظ على الثقافة وتوسيعها ، ومؤخراً وصلت البحوث والدراسات التربوية إلى هذا الموقف الرباني ، وقد صدر عن منظمة التربية والعلوم والثقافة التابعة لهيئة الأمم المتحدة — يونسكو — قرارهم يركزون فيه على الأهداف التربوية الأربعة الهامة ، وهي : تدرس لتعلم ، وتدرس لتعمل وتدرس لتكون ، وتدرس لتعيش مع الآخرين ، وهذه العناصر الأربعة تساعد الدارس ليجعل علومه المكتسبة معارف والمعارف أعمالاً والأعمال تجربة تنقل إلى الآخرين ، والتجارب التي يكتسبها الإنسان باحتكاكه بالظروف المختلفة يمنحه علوماً أخرى ، والتربية الصالحة تجعله على ثقة دائمة بكفاءة نفسه للتمييز بين الحق والباطل والصالح والطالح ، ويستطيع الدراس المسلم بهذا المنظور القرآني للتربية أن يخلق أجيالاً كثيرة بمجرد التبادل العلمي والمعرفي بينهم ، حتى ينقل هذه العلوم والمعارف في أصالتها وقداستها إلى آخر شخص على وجه الأرض ، وهناك يكون اكتساب العلوم صدقة جارية يعود أجره على صاحبها إلى الأبد .

(١) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ، ص/١٣ .

الاستعمار المحلي

بقلم : الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد
(جمهورية مصر العربية)

منذ أن بدأت الدول الغربية خططها لتتقاسم فيما بينها الأقطار الإسلامية في أفريقيا والجزيرة العربية والشرق الأوسط وآسيا ، ومنذ أن بدأت غزواتهم لعالمنا الإسلامي ، سواء كانوا تحت قيادة واحدة وراية واحدة أم تحت رايات متعددة ، خرج المسلمون من كل صوب وحدب وهبوا عن بكرة أبيهم يجاهدون في سبيل الله دفاعاً عن عقيدتهم وتحريراً لأوطانهم ولم تفل لهم همة ولم تخر لهم عزيمة حتى أزاحوا هذا المستعمر وطردوه شر طردة وظفروا باستقلال بلادهم .

وما أن تسلم مجموعة من أبناء الوطن قيادة بلادهم إذا بالمجاهدين يلقون السلاح ويتوقفون عن الجهاد معتقدين أن بلادهم قد خرجت من جحيم الاستعمار الأجنبي لتدخل في نعيم الاستقلال ، وما أن رسخت أقدام هذه المجموعة في الحكم فإذا بها تسير على نفس منوال الاستعمار الأجنبي ، وإذا بناء الشعب وقد خرجوا للتو من جحيم الحكم الأجنبي المستبد ليجدوا أنفسهم وقد وقعوا في براثن استعمار جديد ، استعمار ليس له الوجه الأبيض أو الأشقر ولا العيون الزرقاء ولا الشعر الأصفر ، وإنما يحمل بشرة من لون بشرتنا ويتكلم لغاتنا ويتسمى بأسمائنا ويعتقد عقيدتنا ، إنما هو استعمار محلي ، وأن هذا المستعمر أو المحتل بكل ما تحمله الكلمة من معنى ومضمون والذي بزغ فور أفول الاستعمار الأجنبي ما زال رابضاً على أنفسنا وما زلنا خاضعين له ، ومظاهر وقوعنا تحت سيطرته كثيرة ومتعددة ، منها على سبيل المثال لا الحصر :

فهو يتفنن في إحكام قبضته وسيطرته وهيمنته على الشعب بشتى

السبل التي سبقه إليها الاستعمار الأجنبي فقد يسمح بالحريات أو يصادرها فتارة يستخدم قوانين الطوارئ والأحكام العرفية لاعتقال الحرية وقطم الألسنة وقصف الأقلام والرقاب ويدفع بجيوشه إلى الشوارع لتعقب المجاهدين واغتيالهم الواحد وراء الآخر ، وتارة يشرع في إنشاء أحزاب صورية نبتت وترعرعت بين أرجاء الحزب الحاكم وتشربت من أفكاره يعلن عنها أنها أحزاب معارضة ولكنها في حقيقة أمرها أحزاب مستأنسة لا يخرج نطاق عملها عن ثلاث : الاستهلاك للطاقات فيما لا يضر ولا ينفع ثم الإشباع لرغبة حب الزعامة لدي البعض ، وثالثاً الإثراء عن طريق ما يصدر عنها من صحف ومجلات مثل مثل سائر الأندية الرياضية والجمعيات الخيرية ، كما لو كانت هذه الأحزاب مؤسسات صحفية وأن إصدار الصحف هو الهدف الذي من أجله قامت و إليه تسعى في بلاد ترتفع فيها نسبة الأمية ويحجم المتعلمون عن شراء الصحف لارتفاع أثمانها ، وبغض النظر عن ما يكتب فيها من غيث لا يشبع نهم المتخصصين ولا يسد حاجة العامة ، فضلاً عن أن الرقابة تقف بالمرصاد أمام كل ما هو نافع ومفيد ، لا يشغل بال القائمين على الأحزاب الالتفاف الجماهيري حولها وفتح قنوات الاتصال معهم والعمل على خدمتهم وحل مشاكلهم إلا قرب موعد الانتخابات وينتهي بنهاياتها ، فالنظام الحاكم يحتكر لنفسه الرأي والرأي الآخر ويأبى غير ذلك ، متناسياً ومتجاهلاً أمر الإسلام بالشورى كأهم دعامة لإقامة نظام الحكم ، وقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام شديد الحرص على سماع الرأي الآخر والامتثال للرأي الأصح ، وعلى هذا الدرب سار الخلفاء الراشدون والسلف الصالح رضوان الله عليهم جميعاً ، فأهم مظهر للاستقلال أن يشارك الشعب في الحياة السياسية مشاركة فعالة وأن يكون لديه مقومات حرية التعبير والإفصاح عن رأيه المبني على وعي صحيح ناضج يمكن لصاحبه التمييز بين الحق والباطل والخطأ والصواب والحلال والحرام ، ومن أجل أن يطيل النظام الحاكم من مدة بقائه في الحكم

ويزيد من عمر تسلطه على البلد ، ولكي يحمي نفسه من أي صورة من صور الخروج عليه التي شرعتها القوانين والدساتير ، أو من محاولة اغتياله من قبل أفراد الشعب ، ومن أجل ضمان ألا تمس مصالحه ومشاريعه وأطماعه بسوء ، من قريب أو بعيد ، فإنه يبدد ميزانية البلد وينفقها على إعداد حرس خصوصي وقوات عسكرية ومرتزقة تدعم من وجوده ، فنـــرى ونسمع عن جهات متعددة لحفظ أمن النظام ، وفي هذا تفوق على الاستعمار الأجنبي ، والجميع يعلم علم اليقين أنه إذا انتهى أجل أي فرد فسيأتيه الموت ، ولو كان في برج مشيد ومعد بأحدث الطرق وأقوي الدفاعات والتحصينات الأمنية ، فكم من زعيم لقي حتفه ولم يمنع حراسه الموت عنه ، وأن إقامة العدل تعفي الحاكم من كل هذا الخوف وتجعله آمناً على نفسه ، يعيش كبقية الرعية بل يمكنه أن يستلقى تحت أية شجرة في الطريق العام كما فعل سيدنا عمر رضي الله عنه فجاء من يقول له : عدلت فأمنت فنمت يا عمر .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن النظام الحاكم يضيق من سبل العيش أمام الشعب ويمنع القوت عنه بل يفتعل الأزمات ويرجع بأسبابها إلى الشعب حتى حين يلقمه بالندير من الفتات في صورة منح يخر الشعب راكعاً ساجداً للنظام شاكراً أنعمه عليه ، وحتى يظل الشعب دائماً وأبداً رهين رضا النظام عنه ، كما أنه بذلك يلهي أفراد الشعب في البحث عن أكثر من مصدر للرزق يمضون فيه وقتهم وطاقاتهم غير عابئين بمساوئ النظام ومفاسده .

يفرون أصحاب النفوذ وذوي الحيثيات من تحت طائلة القانون بعد سرقتهم ونهبهم لخيرات وأموال الشعب ، وقد أقسم الرسول عليه الصلاة والسلام لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع يدها ، بينما كان العرب في الجاهلية إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وها هو الاستعمار المحلي يسير على دربهم ويقتفي آثارهم ليفتدي بها ، بينما عنوان الاستقلال وذروة سنامه العدالة والمساواة ، ليست تلك المساواة

التي يتساوى فيها فصائل التيار الإسلامي أمام الجلاد فينالهم نفس القسط من العذاب وغيرهم في نعيم يمرعون ، ولكن تلك المساواة التي أغضبت علي ابن أبي طالب عند ما وقف أمام القاضي في خصومة بينه وبني يهودي فناداه القاضي بكناية ميزه بها عن الخصم ، وتلك المساواة التي جعلت أحد رعايا عمر بن الخطاب يرفض طاعته لتميز عمر بجلباب أطول من جلبابه ولم يتنح عن موقفه هذا إلا بعد أن قام عبد الله ابن عمر وقال إنه أعطى لأبيه جزءاً من القماش المخصص له والذي وزع على كل الناس بالتساوى بما فيهم عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ، إذن فهذه هي المساواة أمام القانون وعند تقسيم الثروات والدخل .

ومن الأمثلة التي طفت على سطح الحياة السياسية كدليل على إثبات الاستعمار المحلي هو هذا أو ذاك الحاكم ابن البلد ، وقد جاء إلى الحكم وسط ترحيب وتأييد وتصفيق وورود من شعبه ، وإلى أن ثبتت أقدامه في الحكم وهو يمضي سنة وراء أخرى ، يذيق شعبه الأمرين ، وقبل أن تصل أيديهم إليه يفر هارباً من البلد وقد تركها أطلالا وسط سخط وغضب عارم ونفوس تتوق لمحاكمته والفتك به ، من أمثال الجنرال محمد سياد بري الذي حكم الصومال منذ أكتوبر عام ١٩٦٩م وفر هارباً منها عام ١٩٩١م وفي نفس العام فر من حكم إثيوبيا منجستوهريام بعد فترة حكم منذ عام ١٩٧٧م وكلاهما يحمل جنسية بلاده ولكنه تطبع بطباع الاستعمار فصار مثله ، ولكنه استعمار محلي الصنع ، كما أن الأمثلة كثيرة تحاول الشعوب فيها إزاحة هذا المستعمر المحلي من على أنفاسها فنرى المجاهدين هنا وهناك لا يضنون بأرواحهم وأموالهم ، وفي كل يوم تملأ أسماعنا أنباء استشهاد فرد أو أكثر من المجاهدين أثناء ملاحقة أجهزة حفظ أمن النظام له ، كل يوم يسقط شهيد أو أكثر ، ونتطلع لأحزاب المعارضة وجرائدها حتى تستنكر ما حدث وتبدي أسفها ولكن لا حياة لمن تنادي ، فلم نسمع لهم صوتاً ولم نرى لهم يدا ترفع احتجاجاً عما يحدث ،

حتى صرخات الثكالى وبكاء الأيتام والأرامل على ذويهم لم تسمح به السلطات ، إن ما يحدث اليوم للمجاهدين وأهليهم يدل على سلبية ولامبالاة كل من يدعي انتماءه للإسلام ، هذا الدين الذي أمرنا بمناصرة إخواننا في الإسلام مظلومين وظالمين بمنعهم عن الظلم ، هذا الدين الذي أمرنا بالضرب على يد الظالم حتى لا يعمنا الله بعقاب من عنده ، هذا الدين الذي جعل أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر ، فإذا كان لهؤلاء الشهداء ناصر ما كانت الدنيا قامت وقعدت إلا بالثأر والقصاص من القتلة ، عشرات بل مئات الشهداء تغطي دماؤهم الذكية أرجاء البلاد والكل خاضع خانع .

كم أتخيل قلب هذه الأم وهو يحترق على ابنها الشهيد وأشعر به ينـــزف دما وأحس بجزع وهلع والده ، وحزن أخواته وأرى الأسى يعتلي وجوههم ، والدموع تمطر من أعينهم ، يرتجف قلبي وترتعد فرائصي ولكن لا أستطيع أن أتخيل كينونة من وجه سلاحه ليقتل مجاهد مسلم ، كيف يرتع بين أهله وأصدقائه وكيف تغفل عيناه وهو يعلم جزاءه ومصيره في الدنيا والآخرة ، يوم تجزي كل نفس عما اقترفت ، ولكن صبراً فإن وعد الله آت لينصر عباده ويمكن لهم في الأرض ، ويهلك أعداءه ، وعلى هذه الوتيرة مضت سنة الله في خلقه .

ولا تبقى أمامنا سوى كلمة وهي لكي لا نعيش دائماً وأبدا تحت سيطرة وظلم المستعمرين أجانب ومحليين ، فلا بد من إحياء فريضة الجهاد مثلها مثل بقية فرائض الإسلام ، فالمسلم في جهاد دائم إلى يوم القيامة ، جهاد أعداء الإسلام وجهاد من ينتسبون إلى الإسلام ولا يقيمون أحكامه وشعائره وفرائضه وحدوده ، فمن لا يحكم بما أنزل الله تجب مجاهدته ، ومن يعطل حدود الله تلزم مجاهدته ومن يسعى في الأرض فساداً أو يثرى على حساب فقر وجوع غيره ، أمرنا الإسلام بمجاهدته ، فيا أمة الإسلام حي على تغيير وجه الأرض بغيره ، حي على الطاعة لله ولرسوله ﷺ حي على الإسلام ونشر دعوته .

دراسة أدبية وتاريخية :

علاقة الهند باليمن، عبر التاريخ

بقلم : الدكتور محمد انظر الندوي
أستاذ مساعد قسم الأدب العربي جامعة اللغة الإنكليزية واللغات الأجنبية بحيدر آباد ، الهند

إن خصوصية وعمق العلاقات الثقافية اللغوية والتجارية ربطت الهند باليمن عبر التاريخ وما زالت أدا ماثلة ومتجددة حتى يومنا الحاضر وأدل شيء على ذلك ما يشهده البلدان حالياً من تنامٍ مطرد للعلاقات وعلى كافة الأصعدة ، لا سيما الثقافية والمعرفية منها على وجه الخصوص .

واليمن المهد الأول للعرب وإليها ترجع أصولهم قاطبة ، وليس بخاف على أحد ما لليمن من رصيد تاريخي ضخم وموروث حضاري وثقافي حافل في سجل الحضارة العربية ، كما تعد اليمن أولى البلاد العربية التي ارتبطت بالهند بالكثير من الوشائج والصلات من قبل ظهور الإسلام وحتى يومنا هذا .

حيدر آباد عاصمة ولاية آندرا براديش الهندية ، تعد خامس أكبر مدينة هندية ، وتتميز بتاريخها وحضارتها القديمة ويعد الحضارم جزءاً من هذا النسيج ، وتتكون من قسمين رئيسين هما سكندر آباد ، وحيدر آباد ، وتفصل بينهما بحيرة حسين ساغر الاصطناعية ، ويرجع تاريخ المدينة إلى ٤٠٠ عام ، وتتميز كذلك بجمالها الطبيعي وكثرة مساجدها ومناراتها وأسواقها ، وكثرة الجسور والهضاب وكذلك البحيرات ، وتقبع على أعلى قمة سهل ديكان الذي يرتفع ١٧٧٦ قدماً فوق سطح البحر ، وتمتد على مساحة تزيد عن ١٠٠ ميل مربع ، وقد أسسها محمد قولي قطب شاه عام ١٥٩٠م .

نظام حيدر آباد :

نظام هو اختصار لنظام الملك ، وهو اللقب الذي كان سائداً في إمارة حيدر آباد في الهند البريطانية منذ عام ١٧١٩م سلالة عساف التي أسسها مير قمر الدين الصديقي ومن خلال سبعة حكام استمروا بحكم حيدر آباد حتى استقلال الهند ١٩٤٧م ، وسلالة عساف من سمرقند وقدم كبير العائلة من

بغداد في القرن السابع عشر وهو الشيخ مير إسماعيل الصديقي علام الأمة ابن أيوب يونس سليم الصديقي بن عبد الرحمن شيخ عز الدين الصديقي (الربع عشر مباشرة من) الشيخ شهاب الدين الصديقي السهروارردي من سهروادة كردستان الصوفي الدرويش ، وسيدة العائلة من عائلة حمدان ابنة زعيم سمرقند ونسبه يمتد إلى حضرة الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، واهتمت العائلة بالأدب والفن والثقافة وجمع المجوهرات ، وانتهى حكمها في أيلول ١٩٤٨م بسبب استقلال الهند عن بريطانيا العظمى .

نظام حيدر آباد يقع في هضبة الدكن في وسط الهند ، وفي عام ١٩٤٨م كانت مساحته ٣٥٠,٠٠٠ كم ، وقد أصبح في القرن العشرين إقليما مغلقاً لا منفذ له على البحر ، وعاصمته مدينة حيدر آباد ، ويطلق عليها أحياناً حيدر آباد الدكن ، تميزاً لها عن حيدر آباد السند في باكستان .

تأسست مدينة حيدر آباد على ضفاف نهر موسى عام ١٥٩١م على يد السلطان محمد قولي خامس سلاطين أسرة قطب شاهي ، وفي عام ١٦٨٥م سقطت المدينة بأيدي المغول المسلمين ، حكام الهند آنذاك ، فأنشأوا منصباً عرف باسم "نظام الملك" يعين فيه حاكم على حيدر آباد ، استغل أحد نظم الملك ويدعي قمر الدين ، الضعف الذي دب في أوصال الإمبراطورية المغولية الهندية وأعلن استقلاله عن الإمبراطور محمد شاه عام ١٧٢٤ ، وقد تجنب الأخير المواجهة معه واعترف بالأمر الواقع ومنحه لقب "آصف جاه" له ولورثته ، وقد شملت الأراضي التي سيطر عليها آصف جاه مناطق واسعة في هضبة الدكن بالإضافة إلى مدينة حيدر آباد التي أصبحت عاصمة الدولة الناشئة ، ومع اشتداد التدخل الإنجليزي والفرنسي في الهند ، وقّع نظام الملك عام ١٩٧٨ على اتفاقية مع الإنجليز تقوم بموجبها حكومة لندن بإدارة الشئون الخارجية للنظام مقابل حماية نظام الملك وأراضيه من جيرانه ؛ وكان على الأخير أن يساهم مادياً في تغطية مصاريف القوات الأجنبية الحامية والمرابطة في أراضيه ، وقد ظل نظام الملك حليفاً للإنجليز حتى اندلاع الثورة الهندية ضدهم

عام ١٨٥٧م .

آخر نظام ، عثمان علي خان :

وفي ١٥/أغسطس ١٩٤٧ انسحبت بريطانيا من شبه القارة الهندية وأعلن عن إنشاء دولتين مستقلتين فيها ، الهند وباكستان ، وكانت شبه القارة مقسمة عشية الاستقلال إلى حوالي ٦٠٠ إقليم وولاية ووحدة حكم ، وبينما انضمت بعض (وليس كل) الأقاليم ذات الأغلبية المسلمة إلى باكستان ، فقد كان لولاية حيدر آباد وضع خاص ، فعلى الرغم من أن المسلمين قد شكلوا حوالي ١٠% من سكانها البالغ عددهم ١٣ مليون نسمة إلا أن حاكمها المسلم ، أي نظام الملك ، عقد اتفاقية مع الحكومة الهندية عام ١٩٤٧ عرفت باتفاقية الإبقاء على الوضع الراهن "Stand Still Agreement" جمد خلالها موضوع الالتحاق بإحدى الدولتين على أن يبت في مستقبل الولاية لاحقاً ، مع العلم أنه كان يفضل الانضمام إلى باكستان ، وطبقاً لهذه الاتفاقية يتبادل الطرفان الممثلين الدبلوماسيين وتومّن الهند للولاية ممرا حرا عبر أحد أراضيها ، لكن الهند تجاهلت هذه الاتفاقية وابتلعت الولاية في سبتمبر ١٩٤٨ فيما أسمته بعملية بولو Operation Polo ومع دخول الجيش الهندي إلى الولاية أبيد حوالي ٢٠٠,٠٠٠ مسلم على أيدي عصابات هندوسية مسلحة ، وقد تم ذلك في ظل صمت حكومي مطلق وتعتيم إعلامي ، رفعت حكومة نظام حيدر آباد قضيتها إلى الأمم المتحدة حيث لا تزال إلى يومنا هذا على جدول أعمالها ، ولكن من دون جدي ، وهكذا انقضى نظام حيدر آباد .

حيدر آباد مدينة إسلامية من الطراز الأول :

يمكننا أن نجزم بأن حيدر آباد مدينة إسلامية من الطراز الأول ولأسباب عدة ، أهمها النسبة العالية للمسلمين فيها ، والعدد الهائل للمساجد المنتشرة في كافة أرجائها ، وكذلك جامعتها المسماة بالجامعة العثمانية والتي تأسست عام ١٩١٧م في عهد الحاكم السابع لأسرة نظام عثمان علي خان ، وتعتبر سابع أقدم جامعة في الهند ، ويبلغ عدد الطلاب الأجانب الدارسين فيها

أكثر من ٢٠٠٠ طالب وطالبة من ٦٠ دولة من بينها اليمن ، وكذلك مطارها الذي يعد خير شاهد على حضارتها الإسلامية من خلال تصميمه الإسلامي .

أهم المعالم :

مبنى تشار مينار (الأربع المنارات) :

أما أهم هذه المعالم والذي يعتبر قبلة لكل من يزور المدينة فهو مبنى تشار مينار/ Charminar (الأربع المنارات) ويصنف على أنه أبرز المعالم التاريخية في الولاية بأكملها ، فهذه التحفة الأسطورية بنيت قبل ٤٠٠ سنة في عهد المؤسس الأول للمدينة محمد قولي قطب شاه في عام ١٥٩٠ بواسطة الطين فقط تخليداً لضحايا الطاعون وتخليداً لذكرى انتهاء زمن الكوارث ، وهو عبارة عن مبنى مربع الشكل كل واجهة في طولها ٢٠ مترا ، ويبلغ ارتفاعه ٢٠ مترا من دون المنارات التي بدورها ترتفع هي الأخرى ٢٠ مترا من على سطح المبنى ، وتمتاز بتصميمها المزخرف الفريد ، والقسم الشرقي من السطح يحتوي على مسجد يتسع لـ ٤٥ مصل مع مساحة كبيرة مفتوحة من الأمام لاستيعاب المصلين في يوم الجمعة ، المسجد أضيف للمبنى لاحقاً في عهد الملك المغولي أورنجزيب ، كان أورنجزيب ينوي هدم هذا الصرح ... ولكن وزراءه تداركوا الأمر وأضافوا المصلى بالأعلى ، وعند ما سئل عن هدم المبنى قيل له بأن هنالك مصلى ولا يجوز هدم المكان ، وعلى الشرق من هذه المساحة توجد شرفة كبيرة مقوسة من الوسط .

مكة مسجد :

وهو أحد أكبر مساجد حيدر آباد ، ويبعد حوالي ١٠٠ ياردة إلى الجنوب الغربي من تشار مينار ، وقد جاءت تسميته نسبة إلى الحرم المكي ، ومساحة قاعة الصلاة فيه هي ٦٧ – ٥٤ متراً ، ويبلغ ارتفاعه ٢٣ مترا ، ويتسع لـ ١٠ آلاف مصل ، وهناك العديد من الأماكن والآثار الإسلامية في حيدر آباد والتي لا يسعنا الحديث عنها ، وهناك أيضاً العديد من المباني الحديثة ذات الطابع الإسلامي التي تحدو بالزوار إلى الاستطلاع ومعرفة المزيد عنها .

قلعة "جول كوندا" Golconda Fort :

بنيت قبل أكثر من ٤٠٠ عام ، ومعناها بالعربية قلعة المرتفع الدائري ، بنيت القلعة بأمر من الملك قولي قطب شاه ، يجدر بالذكر أن الملك كان يشاهد من القلعة بفضل ارتفاع المكان "راني الهندوسية" والتي كانت أفضل راقصة في ذلك الزمان ... فشغفت قلب الملك والذي قرر أن يتزوجها فأسلمت راني وسماها الملك "حيدر النساء" ، وسميت المدينة حيدر آباد على اسم زوجته وحبيبته .

بيت الحج :

بيت الحج الذي يبهر الناظر إليه بتصميمه الإسلامي الجميل والذي يتمنى كل شخص أن يكون هناك مبان مثله في جميع محافظات الجمهورية ، ليس حباً في منظره الخارجي البديع ولكن للأوراد والوظائف الجليلة التي يؤديها في خدمة المجتمع ، تم وضع حجر الأساس له في عام ١٩٩٩م وتم الانتهاء منه بين عامي ٢٠٠١ – ٢٠٠٢م وبلغت تكلفة بنائه ١٠ ملايين روبية تقريباً ، أما أهم المكونات الرئيسية للمبنى فهي ٣ أقسام رئيسية فهي : القسم الأمامي (الدور الأرضي إلى الدور السابع) خصص لاستيعاب كل المكاتب الحكومية التي تندرج في إطار إدارة توفير الحياة الكريمة ، القسم الخلفي (الدور الأرضي إلى الدور الحادي عشر) خصص لتوفير الخدمات الضرورية لـ ٦٠٠ حاج في آن واحد ، مثل قاعة المغادرة والوصول ، معاملة الفيزا والجوازات ، الفحص الطبي ، وتوفير بنك ، ومكتبة ، وكذلك قاعة اجتماعات ، بالإضافة إلى كافتيريا ومطعم ومكتب بريد وخدمة التلغراف ، أما القسم الثالث (الدور الأرضي إلى الدور الثاني) فهو عبارة عن مسجد يتسع لحوالي ٨٠٠ مصل ، أما البدروم فهو عبارة عن موقف يتسع لحوالي ٨٠ سيارة ، وسكن لإمام المسجد والمؤذن ، وغرفة للصيانة ومولد كهربائي ، وأما مصادر الدخل التي يعتمد عليها رجال الأعمال في مواردهم فهي صندوق الوقف ، وتأجير العقارات والأراضي ، التابعة للوقف ، وشهادات الزواج ، والرسوم المحصلة من صرف الاستمارات ، فهناك ٣٥,٧٠٣

أوقاف في ولاية آندرا براديش ، وهي عبارة عن ٣٦٣٢ مسجداً ، ٨٣٧١ مقبرة ، وأوقاف أخرى ، كما أن في حوزتهم مليوناً وخمسة وأربعين ألفاً وخمسمائة واحد عشر فداناً من الأراضي والحمد لله ، وأموال الوقف في زيادة ، أما عن المهام الرئيسية التي يقوم بها المسئولون ورجال الأعمال في خدمة المجتمع فهي كثيرة نذكر منها : تقديم يد العون والمساعدة للأرامل والمطلقات من النساء المسلمات اللاتي ليس لديهن أي مصدر للدخل ، مساعدة المسلمين غير القادرين على تكاليف الزواج ، تقديم المساعدات الطبية ، إنشاء خزانات المياه ، وتوزيع الأدوات المدرسية المجانية من دفاتر وغيرها للطلبة الفقراء .

مطار حيدر آباد :

مطار حيدر آباد يعد خامس أهم مطار في الهند ترى حركة طيران رهيبة ما بين إقلاع وهبوط ، تصل حركة الطيران اليومية فيه إلى (٢٥٠) رحلة ، محلية ودولية ، وتعمل فيه ١٦ شركة طيران دولية ، متجهة إلى مختلف أنحاء العالم ، ومنها عدد من الشركات العربية كالخطوط السعودية والقطرية والعمانية وطيران الإمارات وغيرها ، وذلك نتيجة التطور الهائل الذي تشهده هذه المدينة بالذات في المجال التكنولوجي ، وتحرير قطاع النقل من أي قيود وفتح الأجواء على مصراعيها أمام جميع شركات النقل ، مما حدا بالحكومة إلى الإسراع في إنشاء مطار دولي جديد وفق أرقى المواصفات العالمية ليتناسب والحركة المتصاعدة للطيران ، وتم افتتاحه في مارس ٢٠٠٨م ، أما مطار مومباي وهي العاصمة الاقتصادية للهند فمعدل الرحلات الجوية فيه تعتبر الأشد ازدحاماً في جنوب آسيا وتصل عدد الرحلات إلى ٤٥ رحلة في الساعة ، أي ١٠٨٠ رحلة في اليوم وهذا الرقم في ازدياد مستمر .

ثمة معالم تاريخية أخرى في مدينة حيدر آباد وهي :

قصر فلك نما — (Falaknuma Palace) : معناه بالعربية قصر السماء ، وبناه نظام الملك السابع ، والذي زوّج ابنه معظم جاه إلى الملكة العثمانية نيل أوفر عبد المجيد ، قصر جو محل — (Chowmahalla Palace) قصر جو محل أيضاً

من ضمن أملاك نظام الملك السابع ، ويمكنك أن ترى باللون الأحمر مسند الحكم ، قصر خلوت — (Kilwat Palace) من ضمن أملاك نظام السابع ، وقصر قديم قصر لعائلة نظام الملك يسمى بالقصر القديم وقصر للعدل — (High Court) : إحدى قصور نظام الملك والآن هو قصر للعدل ، بحيرة سد حماية — (Himayat Sagar) : وهو ناتج عن تجمع مياه الأمطار في السد والذي يمد حيدر آباد بأكملها بالماء ، منتزه اين تي آر — (NTR Gardens) : منتزه محافظ ولاية آندرا براديش التي تقع بها مدينة حيدر آباد ، مستشفى العثمانية — (Osmania Hospital) ... سمي على اسم نظام الملك السابع الملك مير عثمان علي ، الجامعة العثمانية — (Osmania University) ... سميت على اسم نظام الملك السابع الملك مير عثمان علي ، ضريح قطب شاه مؤسس حيدر آباد — (Qutubshahi Tombs) ، مدينة رامو جي للاستوديوهات (Ramoji Film City) ، متحف نظام الملك سلارجونك (Salarjung Museum) ، متحف التماثيل شيلباً رامم (Shilpa Ramam) ، منتزه أرض الألعاب (Toyland) .

الحضارم وحيدر آباد :

ارتبط الحضارم بعلاقات وطيدة بحيدر آباد وحكامها حيث يقال إن حيدر آباد كانت الموطن الثاني لليمنيين وبالأخص للحضارمة الذين وصلوا لنشر الدعوة إلى أرجاء العالم عن طريق التجارة والتي غابت عن أولادهم ، ورحم الله أجدادهم ، وكانت العلاقة وطيدة بين السلاطين وحكام أسرة نظام حيدر آباد ، وكان هناك أثر واضح لتدخل حكام النظام في حيدر آباد بنظام الحكم في حضرموت الوقوف إلى جانب بعض السلاطين ومساندتهم ، والذين كان أشهرهم السلطانين الكثيري والقعيطي ، فقد أسست الدولة الكثيرية في حيدر آباد وقد عملت على خدمة النظام ، وكان النظام حينها يستخدم الحضارمة في القضاء على الثورات المناوئة له ، وأعطى النظام مؤسس السلطنة الكثيرية المال لتأسيس سلطنته في حضرموت والتي كانت تشمل حضرموت كلها ، والسلطان القعيطي هو الآخر كان في خدمة النظام في حيدر آباد ، ولقي الدعم لتأسيس

سلطنته فيما بعد وعرفت بالسلطنة القعيطية وقد توفي في حيدر آباد .

باركس والحضارمة :

ونظراً لتواجد الحضارمة بشكل لافت للنظر في حيدر آباد متفرقين في أرجائها ، نكرر الحديث عن أكبر تجمع لهم وهي منطقة باركس التي يحادث الزائر خياله كل دقيقة بل كل ثانية .. كيف ستكون هذه باركس ؟ أهي كشبام العالية ؟ .. الهجرين ؟ القطن .. المكلا ؟ .. أم الشجر ؟ .. أم كالغني تريم !

باركس (بركس سابقاً) ! هذه المنطقة من مدينة حيدر آباد مكتظة باليمنيين ولا يزالون ملتزمين هناك بالزي اليمنى مثل المقطب منذ مئات السنوات ومعهم جنسيات هندية ، ويأكلون وجبات يمنية : مندي وشيشة و قات ! ويرتاحون ، باركس ! تتكون أكبر نسبة من المغتربين اليمنيين في الهند بغض النظر عن المناطق الأخرى المتواجدة في الهند ، باركس ! هي قرية البقية الباقية من الأجداد المهاجرين الحضارم في الحقيقة ، تشوق الحضرمي كثيراً لزيارة هذه المنطقة حيث الجيش العربي الذي كان يضم الكثير من القادة الحضارم . منهم غالب بن محسن الكثيري والجمعدار عمر بن عوض القعيطي وسلطان الصداع (العولقي) ، تبعد باركس حوالي ٤٥ كيلو مترا تقريباً من حيدر آباد ، اليمنيون يشكلون نسبة عالية من سكان مدينة حيدر آباد الجميلة ، يقال : إن هناك أكثر من مئتي ألف بيت يمني في حيدر آباد ، ٩٠% حضارم ، و ٦% يافع ، و ٤% شبوة ... وقريباً من منطقة باركس تبدو للزائر قلعة في أعالي الجبل ... نعم قلعة بيضاء ... وهي قلعة السلطان الذي كان يحكم حيدر آباد ، وكان يتخذ الجيش من العرب وسلاطينه من العوالق وغيرهم ، وكذلك القعيطي ... وبعد لحظات من الانطلاق من القلعة البضياء يعبر الزائر الجسر الصغير وإذا بالحياة شبه مختلفة مما كانت عليه في المدينة ... أولاً بالصواريم تكثر ، فالشباب يلبس الصاروم ، والشيبة يلبس الصاروم وإذا بالعمايم على الرؤوس ، فوالله تذكره بحضرموت .. باهادي ! إنه أحد الحضارمة المهاجرين الذين يسبكون الهريس الحضرمي سبكة والزائر يأكلها من يد أمه في البلاد ،

وإذا بالدكان الصغير عليه اسم الجابري وإذا بالشاهي الأحمر يأتيه ... وينطلق إلى داخل المدينة الحضر هندية .. وإذا بأصحاب البيوت معلقين أسماءهم دليلاً إلى بيوتهم .. منـــزل العمودي .. منـــزل باوزير .. منـــزل السقاف .. منـــزل بانعيم .. منـــزل بافلان .. منـــزل باعلان .. والمخازن أيضاً .. دكان باهديلة .. الخ .

وأثناء التجوال في ملعب باركس إذا سُئل الأولاد اللاعبون هناك عن أسمائهم فيجيبون : أما أنا فلان بن فلان بايعشوت ... وأنت ؟ فلان بن فلان بابقى ... وأنت ؟ أنا عسكول ... أنا الكثيري ... ومن المواقف الطريفة التي تحصل لأحد من الزوار ... أنه بعد الصلاة عند ما يهم بالتحرك إلى البيت ، إذا بمن بقى في المسجد يرفعون أصواتهم بصوت واحد ... يا نبي سلام عليك ، يا رسول سلام عليك ، يا حبيب سلام عليك ، صلوات الله عليك ، وباللحن نفسه فوالله سيفرح لأنها تذكّره بلاده ! تذكّره بحضرموت ... المترجم بن بريك الذي يترجم من العربية إلى الأردية ... وهو رجل كبير في السن قرابة الستين سنة ولكن عقله ما زال شاباً ، وفي بيته من الطراز العربي والهندي أيضاً ، وهو منذ أربعين سنة في الهند ، والله يتكلم لهجة أهل شبوة التي على الحدود مع حضرموت وكأنه وصل الساعة من حضرموت ... ولكن للأسف فأولاده لا يتقنونها مثله ... الأخ طاهر بن عبد العزيز الحاج ، صاحب محل بيع الهريس (وهو وجبة الإفطار الحضرمية الشهيرة) الحضرمي الأصل من مواليد حيدر آباد ، متزوج وله ولدان ، يعمل في مجال بيع الهريس منذ زمن بعيد فهو مصدر رزقه الوحيد ، ويرجو من الحكومة اليمنية الاهتمام بهم وتسهيل إجراءات حصولهم على الجنسية .

الإخوة خالد بن أحمد بن عبود الكندي ، وهو الآخر من مواليد حيدر آباد ، ويعمل في مجال العقارات ، ومحسن بن علي اليماني ، وهو حضرمي من مواليد حيدر آباد صاحب محل بقالة ، وقيصر بن عبد الله بن حبتور (٣٠ سنة) يعمل في البقالة التي يملكها مبارك بن أحمد بن وهلان (٢٨ سنة) وهو الآخر

من مواليد حيدر آباد ، وعامر بن علي بن شملان ، وعلي بن سالم باشجر ، وسيف بن مبارك بن شيب ، وجميعهم من مواليد حيدر آباد ، والأخ خالد بن خالد بايمين النهدي (٥٥ سنة) الذي كان أبوه من مواليد حيدر آباد ولديه ست من البنات وولد واحد ، وهو صاحب بقالة .

خالد بن عبد الله بن ظهران بن محفوظ يعمل في محل للعطور يحمل اسم "بن محفوظ للعطور" ، وهو أحد أقرباء الشيخ خالد بن محفوظ ، يجيد التحدث باللغة العربية بلكنة مفهومة ، وأبوه من مواليد حيدر آباد ويحمل الجنسية اليمنية ويبلغ من العمر ٦٠ عاماً ، ولديه ٧ من الأولاد و ٤ من البنات ، وإنهم يحبذون العودة إلى الوطن الأم ورغبتهم في الحصول على الجنسية .

الأخ محمد بن سلطان النهدي (٥٥ عاماً) لديه محل لبيع الجوالات ، له ٢٠ عاماً في حيدر آباد وقد كان قبلها في البحرين ، لم يزر اليمن قط ، له اثنان من الأولاد وبنت واحدة ، كان جده ساكناً في عدن ، ويأمل في الحصول على الجواز اليمني ، عفيف محمد مختار اليافعي من مواليد حيدر آباد من باركس حيث له أهل في اليمن في يافع ومن مدينة عدن .

مطالب اليمنيين في حيدر آباد :

أغلب مطالب اليمنيين في حيدر آباد موحدة ، وهي العمل على فتح قنصلية يمنية في حيدر آباد لتسهيل حصولهم على الجنسية اليمنية وهو وعد كان قد قطع لهم أثناء زيارة السعادة عبد القادر باجمال لحيدر آباد قبل عدة سنوات على حد قولهم ، وكذلك فتح رحلة للخطوط الجوية اليمنية إلى حيدر آباد ، كما كانت مطالبهم ملحة لفتح المراكز وإنشاء المدارس لتعليم أولادهم اللغة العربية التي أصبحت في تلاش مستمر ، وتزويدهم بالمدرسين والمناهج اللازمة للحيلولة دون فقدهم لهويتهم الإسلامية والعربية التي أصبحت في اضمحلال مستمر ، وكذلك إنشاء المعاهد الدينية وإرسال البعثات التخصصية إليهم ، والمحافظة على تراث الحضارة اليمنية حيث إن الحضارة اليمنية أوشكت على طمس معالمها في حيدر آباد ، وهذا يشكل خطورة على المجتمع اليمني المغترب في الهند .

تطور السيرة الذاتية في الأدب العربي

بقلم : الأستاذ محمد صلاح الدين العمري
الأستاذ في قسم اللغة العربية وآدابها ، بجامعة علي كره الإسلامية

كلمة السيرة ، تفيد لغة معنى السنة والطريقة والهيئة والمميزة (١) ، وكلمة السيرة استعملت أولا لترجمة حياة الرسول ﷺ ، ثم شاع استعمالها بمعنى ترجمة سيرة الرسول وعامة سيرة أي شخص آخر ، فقد جاء في الانسايكلوبيديا الإسلامية أن السيرة هي سيرة حياة النبي محمد ﷺ ، ويبدو أنها استعملت من قبل ابن هشام وكذلك من قبله استعملها الواقدي وتلميذه ابن سعد في الطبقات ، إضافة إلى أن كلمة السيرة كانت تعني على العموم تاريخ حياة شخص (٢) ، جاء في المعجم الوسيط "السيرة : السنة ، والطريقة والحالة التي يكون عليها الإنسان وغيره ، والسيرة النبوية وكتب السير : مأخوذة من السيرة بمعنى الطريقة ، وأدخل فيها الغزوات وغير ذلك ، ويقال : قرأت سيرة فلان : تاريخ حياته (ج) سير" (٣) ، وجاء في معجم مصطلحات الأدب "السيرة تاريخ الحياة ، ترجمة الحياة" (٤) .

فالسيرة في الاصطلاح نوع أدبي يعرف بحياة شخص أو شخصيات عديدة أو مجموعة من الشخصيات في مجال خاص أو مجالات مختلفة .

والسيرة قسمان : "السيرة" أو "السيرة الغيرية" ، وهي قصة حياة شخص يكتبها شخص غيره ، والسيرة الذاتية ، وهي قصة حياة شخص يكتبها بنفسه عن نفسه ، وهناك أنواع كثيرة عن السير منها السيرة الشعبية والتاريخية والأدبية ، وتعد تراجم الأعلام سيراً ، إلا أنها مختصرة تتناول أهم الأحداث في حياة المترجم له .

---

(١) القاموس المحيط للفيروز آبادي .
(٢) الانسايكلوبيديا الإسلامية .
(٣) المعجم الوسيط : مادة : سير .
(٤) مجدي وهبة : معجم مصطلحات الأدب .

أما فيما يتعلق بكون السيرة ضمن التاريخ أو ضمن الأدب ؟ فهناك اختلاف كبير بين العلماء والأدباء ، بعضهم يرون ومنهم محمد كامل حسين (٥) ، أن السيرة تعد من الوثائق التاريخية وبذلك هي تاريخ ، ولكن البعض الآخرين يرون أن معالجة سيرة أي شخص تعتبر معالجة فنية إذا استطاع كاتب السيرة أن يوفر لها شروط النجاح الفني "فكاتب السيرة أديب فنان كالشاعر والقصصي في طريقة العرض والبناء ، إلا أنه لا يخلق الشخصيات من خياله" (٦) ، قاموس اوكسفورد يعرف السيرة بأنها تاريخ حياة الأشخاص وبأنها فرع من الأدب ، حيث ورد فيه تعريف السيرة :

"The history of the live of individual men as a branch of literature" (7).

وجاء في الانسائكلوبيديا البريطانية :

"Yet there is general recognition that history and biography are quite distinct from of literature" (8).

والسيرة الذاتية أو الترجمة الذاتية هي رواية حياة شخص ما من قبله ، يقول قاموس اوكسفورد عن السيرة الذاتية :

"The writing of one's own history of one's life written by himself" (9).

صاحب معجم مصطلحات الأدب يأتي بتعريف السيرة الذاتية : "سرد متواصل يكتبه شخص ما عن حياته الماضية ، مثال ذلك "طوق الحمامة" لإبن حزم الأندلسي (م ٤٥٤هـ/١٠٦٢م) ، فإنه ضمن كتابه هذا تجاربه وخبراته واعترافاته ، والبوح عن نفسه غير ساتر نقيصته فيه (١٠) .

---

(٥) محمد كامل حسين ، في أدب مصر الفاطمية ، ص/١١٣ .

(٦) إحسان عباس : فن السيرة ، ص/٥٨ .

(٧) قاموس اوكسفورد الإنكليزية .

(٨) الانسايكلوبيديا البريطانية .

(٩) قاموس اوكسفورد الإنكليزية .

(١٠) مجدي وهبة : معجم مصطلحات الأدب .

تشتمل السيرة الذاتية على المذكرات ، واليوميات ، والرسائل ، وأصناف السيرة الذاتية كثيرة ، فمنها تراجم فلسفية ، وتراجم عليمة وأدبية ، وتراجم صوفية ، وتراجم سياسية ، (١١) ، ولكن الدكتور إحسان عباس يصنف السيرة الذاتية تحت "الصنف الإخباري" و "الصنف التفسيري" و "صنف يقص المغامرات في الحياة وما يلاقيه المرء من تجارب" (١٢) ، نرى أن فن كتابة السيرة بدأ يتطور في الأدب العربي فوراً بعد ظهور الإسلام تحت مؤثرات عديدة أهمها محاولة تسجيل حياة الرسول محمد ﷺ تسجيلاً دقيقاً ، أما بالنسبة إلى تطور فن السيرة الذاتية فبالإضافة إلى ما كتبه الأوائل تجاربهم الذاتية أو الروحية أو الفلسفية أو مذكراتهم السياسية والعاطفية أمثال الطبيب الفيلسوف حنين بن إسحاق (ت ٢٦٠هـ/٨٧٣م) الذي ترجم فصولاً من مؤلفات وسيرة جالينوس وتأثر به فكتب سيرة حياته التي وردت في كتاب "طبقات الأطباء" لإبن أبي أصيبعة" وإبن الجوزي الذي ترك رسالة لإبنه سماها "لفتة الكبد في نصح الود" نصحه فيها على طلب العلم ويذكر له مؤلفاته وطريقة دراستها والاستفادة منها ، والسخاوي (ت ٩٠٢هـ/١٤٩٧م) الذي ترجم لنفسه في كتابه "الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع" ومحمد بن علي بن طولان (ت ٩٥٣هـ/١٥٤٦م) في كتابه "الفلك المشحون في أحوال محمد بن طولان" ، ومن المتصوفة أشهر من ترك ترجمة شخصيته الغزالي (ت ٥٠٥هـ/ ١١١١م) في كتابه "المنقذ من الضلال" ، والشاعر عمارة اليمني (ت ٥٦٩هـ/١١٧٣م) الذي كتب عن نفسه في كتابه "النكت العصرية في أخبار الوزارة المصرية" ، وأسامة بن منقذ (ت ٥٨٤هـ/١١٨٨م) الذي قص في كتابه "الاعتبار" تجاربه ورحلاته وملاحظاته ، وابن جبير (ت٦١٤/١٢١٧م) في كتابه القيم المعروف بـ "رحلة ابن جبير" ، وابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م) في تأليفة المعروف بـ "رحلة ابن بطوطة" وغيرهم في هذا الفن ، يجدر بالذكر خاصة من رجال الأدب والفن ابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٣م) الذي سجل تجاربه وعواطفه واعترافاته في أسلوب قصصي في كتابه "طوق

---

(١١) ينظر شوقي ضيف في كتابه "الترجمة الشخصية" .

(١٢) د. إحسان عباس : فن السيرة ، ص/١٢٣ وما بعدها .

الحمامة" ولسان الدين ابن الخطيب (ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م) الذي كتب سيرة حياته ضمن كتابه المعروف بـ "الإحاطة في أخبار غرناطة" ، والمؤيد في الدين هبة الله (٤٧٠هـ) الذي يعتبر من أعلام المذهب الفاطمي وكتابه "السيرة المؤيدة" ، وابن خلدون (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م) وكتابه "التعريف بإبن خلدون ورحلته غرباً وشرقا" .

وبعد القرن العاشر لا نرى أي تقدم في التأليف بل انحسر وخيم الركود في كل مجال من مجالات الحياة الثقافية ، ولم تزل هذه الحالة الراكدة حتى بزوغ فجر النهضة الحديثة التي ظهرت فيه السيرة الذاتية في شكل جديد .

وهذا العصر يعطينا شخصية رائعة تلعب دوراً رياديا في سبيل تطور هذا الفن ، وهي شخصية أحمد فارس الشدياق (ت ١٨٨٨م) من رواد الصحافة العربية ، يعد تأليفه "الساق على الساق فيما هو الفارق" أول سيرة ذاتية ظهرت في العصر الحديث ، دون الشدياق في هذا الكتاب جانباً مهماً من حياته وتنقلاته ، والفارق إسم منحوت من كلمتي "فارس" و "الشدياق" بأخذ "فار" من فارس و "ياق" من الشدياق .

ثم يجئ على مبارك (ت ١٨٩٣م) بسيرة حياته (في نحو ستين صفحة) في كتابه الخطط التوفيقية ، الذي يعد من أهم مؤلفاته ويقع في عشرين مجلداً ، استخرج سيرة حياته من هذا الكتاب تلميذه محمد باشا وطبعه في رسالة صغيرة بعنوان "تاريخ حياة المغفور له على مبارك باشا" في عام ١٨٩٤م ، ذكر على مبارك في سيرته نشأته وتعليمه في مصر وفرنسا وكذلك ذكر المناصب التي تقلدها في الحكومة وخارجها ، وأعماله وإصلاحاته في مجال التعليم وغيره ، وهذه السيرة تعتبر من أوائل السيرة الذاتية في القرن التاسع عشر ، وهي تمتاز بالخصائص المتكاملة للسيرة الذاتية ، إنه كتبها بصدق وإخلاص في أسلوب سلس ، وسجل كل ما يتعلق بحياته وقصة طفولته وتعليمه والسياسة في عهده .

والكاتب الثاني هو محمد كرد علي (ت ١٩٥٣م) الذي سجل سيرة حياته مختصراً في كتابه "خطط الشام" (ط. ١٩٢٨م) ، بالإضافة إلى مذكراته في أربعة مجلدات (ط ، ١٩٤٨م) التي تشتمل على كل ناحية وتفصيل عن حياته ، هذه المذكرات تعد من المذكرات الأدبية المهمة في تاريخ الأدب العربي الحديث ، وكذلك تعد من أوائل ما ظهر من مذكرات أدبية خلال النصف الأول من القرن العشرين ، وبالإضافة إلى ذلك لعلها هي أول وأطرف ما

كتب في اللغة العربية من مذكرات قديماً أو حديثاً .

توجد عناصر السيرة الذاتية بقدر وافر في "الأيام" لطه حسين ، و"تربية" سلامة موسى و"حياتي" لأحمد أمين و"مذكرات الرافعي" و"مذكرات محمد حسين هيكل" و"أنا" للعقاد .

"الأيام لطه حسين (ت ١٩٧٣م) تعتبر من أهم كتب السيرة الذاتية التي ظهرت في هذا القرن ، هذا الكتاب ظهر في أسلوب قصصي فني ويعتبر في نظر الكثير من الناقدين كتاباً فريداً في فن السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث ، يرى الدكتور إحسان عباس ، أن الأيام سيرة ذاتية فنية أدبية لو أن طه حسين أجرى فيه بعض التعديلات لأصبح قصة كما فعل توفيق الحكيم في "عودة الروح" والمازني في "إبراهيم الكاتب" والعقاد في "قصة سارة" ثم يؤكد الدكتور إحسان أن في هذه الكتب شيئاً غير قليل من العناصر الذاتية والترجمة الشخصية بيد أنه موضوع في إطار قصصي (ممزوج بقسط غير قليل من الخيال ؛ فهي كتب لاحقة بالقصص لا بالسير الذاتية) (١٣) .

"تربية" سلامة موسى أيضاً كتاب يعد من الكتب المهمة ، كتبه سلامة موسى وبث فيه آراءه وأفكاره التي آمن بها .

ولكن "حياتي" لأحمد أمين يعد أهم ترجمة ذاتية كتبت بعد "الأيام" (١٤) ، من حيث استكمال شروط الكتابة في هذا اللون الأدبي نهج أحمد أمين في تأليفه "حياتي" نهج المؤرخين ، ولكن أسلوبه تميز بالبساطة والصراحة ودون فيها الكثير من تفاصيل حياته .

والتراجم الذاتية الأخرى التي تعتبر أنها توافرت فيها عناصر السيرة والتي تعد من المؤلفات الشهيرة في هذا المجال في الأدب العربي الحديث هي مذكرات الرافعي ومذكرات محمد شفيق باشا وأنا لعباس محمود العقاد وغيرها ، فنرى أن هذا الفن قد تطور تطوراً ملموساً في العصر الحديث ، لا شك فيه ، ويستحق أن يدرس دراسة فنية ويناقش مناقشة موضوعية لتقويمها تقويماً علمياً وفنياً ، والله أعلم بالصواب .

---

(١٣) دكتور إحسان عباس : فن السيرة ، ص/١٣٩

(١٤) شوقي ضيف : الترجمة الشخصية ، ص/١٢٠ .

****

بعض شاعرات العرب في خير القرون

بقلم : الدكتورة سيدة طلعت سلطانه
الأستاذة المشاركة ورئيسة قسم اللغة العربية وآدابها كلية الجامعة العثمانية للإناث ، حيدر آباد

(الحلقة الأولى)

لا ريب أن النساء نصف المجتمع الإنساني ، وهن إحدى عجلتي الحياة ، ومن المعلوم أن السيارة لا تمشي على عجلة واحدة ، ثم لا لذة في حياة الرجال ولا طمأنينة بدونهن ، وهن خير متاع الدنيا لهم ، وهن رفيقات لهم من الدنيا إلى الآخرة ، كذلك مساهمتهن في مجالات العلوم والفنون والآداب كبيرة بدون شك ، بل بعضهن يفقن الرجال أحياناً ، ولهن مساهمة ملحوظة في العلوم الإسلامية النيرة من التفسير والحديث وعلم الدراية والفقه الإسلامي ، وعلم أسرار الشريعة والدين ، وكذلك إسهامات كبيرة في تربية الأولاد وما إليها كما يشهد بها التاريخ وكتب السيرة .

وقد جاء في الروايات أن أسماء بنت أبي بكر كانت تمرض المرضى (١) ، وقال أم عطية :

"غزوت مع النبي – ﷺ – سبع غزوات ، وكنت أخلفهم في الرجال ، وأصنع لهم الطعام ، وأقوم على المرضي ، وأداوي الجرحى" (٢) .

وكانت عائشة – رضي الله عنها – تداوي الجرحي ، وقال هشام بن عروة عن أبيه :

"ما رأيت أحداً أعلم بالطب من عائشة – رضي الله تعالى عنها –" (٣) .

كذلك كانت ماهرة في علم الفلكيات (٤) ، وذكر العلامة ابن

(١) أحكام النساء لابن الجوزي ، ص/٢٩١ .

(٢) صفة الصفوة : ٧١/٢ ، وطبقات ابن سعد : ٣٣٣/٨ ، ونيل الأوطار : ٢٥٣/٧ .

(٣) سير أعلام النبلاء : ٤٦٢/٣ ، الإصابة : ٣٦٠/٤ ، الاستيعاب بها مشها : ٣٥٨/٤ .

(٤) نساء أهل البيت ، ص/١٤٧ .

الجوزي : إن سكنة بنت القاضي أبي عبد الله الحسين بن إسماعيل المحاملي ، كانت عالمة فاضلة من أحفظ الناس للفقه على مذهب الإمام الشافعي ، وكانت تفتي مع أبي علي بن أبي هريرة ، وكانت بارعة في علم الفرائض وحسابها والنجوم وغير ذلك من العلوم (٥) .

وللنساء إسهامات كبيرة في الأدب العربي شعراً ونثراً ، ونجد في العهد النبوي بعض الصحابيات الشاعرات اللاتي كن يقرضن الأشعار ، منهن : خنساء ، وعاتكة بن زيد ، وأروى بنت عبد المطلب ، وعاتكة بنت عمرو بن نفيل ، وهند بنت الحارث ، وأم سعد (كبشة بنت رافع) ، وهند بنت عتبة ، وصفية بنت عبد المطلب ، وخولة بنت حكيم ، ويرى الباحث في أشعارهن جميع أصناف الشعر من المدح ، والرثاء ، والفخر ، والحماسة ، والغزل ، والهجاء ، والحكمة والموعظة ، وتصوير المناظر الطبيعية ، وعلما بالقارئ أن هذه المقالة ليس فيها المقصود إحاطة جميع الشاعرات وذكر أشعارهن كلها ، وإنما المقصود تعريف مساهمة النساء في مجال الأدب العربي الشعري مع تقديم أشعارهن كنموذج ، فأختار بعضهن وأخص بذكرهن معتمداً على كتب السيرة والتاريخ الموثوق بها .

١ – الخنساء (٦) :

هي السيدة تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمية ، والخنساء لقب لها ، نبتت في دوحة الشرف ، وازدهرت في روضة الفضل ، فكان أبوها وأخواها معاوية وصخر سادات سليم من مضر ، وكانت بارعة الجمال والأدب ، فخطبها دريد بن الصمة سيد هوازن وفارس وكان شيخاً كبيراً ، فردته ، وآثرت التزوج في قومها ، وقد تزوجت رواحة بن عبد العزى السلمي ، فولدت له عبد الله ، ثم خلف عليها مرداس بن أبي عامر السلمي فولدت له

(٥) أحكام النساء لابن الجوزي ، ص/٣١١ .

(٦) راجع : تاريخ الأدب العربي للزيات ، ص/١٠٩ ، وما بعدها ، وتاريخ الأدب العربي لعمر فروخ : ٣١٧/١ ، وما بعدها .

زيداً ومعاوية وعمروا ، ثم قتل أخواها معاوية وصخر في الجاهلية ، وكان صخر أخاها لأبيها طعنه أبو ثور الأسدي ، فاحتمل الطعنة عاماً ثم توفي متأثراً بها ، فحزنت عليهما حزناً شديداً ، وجزعت عليهما أشد الجزع ، وبكتهما أشد البكاء ، ورثتهما بأبلغ الرثاء ، ولا سيما صخراً لما بلته من كثرة إحسانه ، وشدة حنانه ، وقوة جنانه .

ولما جاء الإسلام وفدت الخنساء على الرسول – ﷺ – مع قومها وأسلمت هي بين يديها وقومها ، وأنشدته من شعرها ، فاهتز لشعرها الرسول – ﷺ – واستزادها بقوله : هيه يا خناس ! ولم تترك الخنساء الحزن على أخويهما ورثاهما بعد إسلامهما أيضاً ، إلا أن وجدها على صخر كان وراء الصبر وفوق العزاء ؛ فلم تزل تبكيه وترثيه حتى ابيضت عيناها من الحزن ، ولما وفدت على عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – في المدينة ، قال لها عمر – رضي الله عنه – : وقد رأى شدة حزنها على أخويها ، لماذا تحزنين عليهما وهما في النار ؟ فقالت له : ذلك أدعى لحزني عليهما لقد كنت من قبل أبكي لهما في النار وأنا اليوم أبكي لهما في النار .

ولقد كان للخنساء أربعة بنين ، فلما سار العرب لفتح العراق جمعت بنيها الأربعة وحضتهم على القتال ونصرة الإسلام ، فخاضوا معركة القادسية واشتشهدوا جميعاً ، فلما جاءها النعي بمصرعهم فتقبلت مصرعهم صابرة محتسبة ، ولم تزد على أن قالت : الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ، وأرجو أن يجمعني بهم في مستقر رحمته ، ثم توفيت في أول خلافة عثمان بن عفان – رضي الله عنه – بالبادية عام ٢٤هـ .

شعرها :

الخنساء أعظم شواعر العرب على الإطلاق ، ليس فيهم قبل الإسلام وبعده من يفوقها في رصانة شعرها ، ورقة لفظه ، وحلاوة جرسه ، وشعرها مقطعات كله ، وهو فصيح اللفظ ، رقيق متين السبك ، رائق الديباجة ، وقد غلب على شعرها الفخر قليلاً ، والرثاء كثيراً ، أما الفخر فلأن أباها أمثل قومه ، وأخويهما خيرا مضر ، وأما الرثاء فلفجيعتها فيهم وطول وجدها عليهم ،

والأسى يدق الشعور ، ويرق العاطفة ، ويفتق القريحة في الرجل ، فكيف به في المرأة ؟ وكانت لا تقول إلا البيتين أو الثلاثة قبل مقتل أخويها ، فلما قتل فاض الدمع من عينها والشعر من قلبها ، فأتت في رثائها بالمعجب المعجز ، وقيل : إنها كانت تشارك طقوس عكاظ في كل سنة ، حيث كانت تنصب لها خيمة وعليها راية مكتوب عليها "الخنساء – أرثي العرب" وكان الناس يجتمعون ويلتفون حولها في جم غفير ، والخنساء تنشدهم أشعارؤ الرثاء ، والناس يستمعون إليها ساكتين صامتين والدموع تفيض من عيونهم ، وكان يرى النابغة وجرير وبشار أنها أفضل من الرجال ، لما في شعرها من قوة الرجولة ورقة الأنوثة .

نموذج من شعرها :

قالت ترثي أخويها صخراً ومعاوية :

أرى الدهر أفنى معشري وبني أبي ... فأمسيت عبرى لا يجف بكائيا
أيا صخر هل يغني البكاء أو الأسى ... على ميت أصبح بالقبر ثاويا
فلا يبعدن الله صخراً وعهده ... ولا يبعدن الله ربي معاويا

وهي تجعل طلوع الشمس وغروبها تذكاراً لأخيها صخر ، ثم تذكر أنها لا تنساه طول حياتها ولا تمتنع عينها بجريان دموعها على فراقة حتى يجيئها الأجل :

يذكرني طلوع الشمس صخراً ... وأذكره لكل غروب شمس
ولولا كثرة الباكين حولي ... على إخوانهم لقتلت نفسي
فلا والله لا أنساك حتى ... أفارق مهجتي وأزور رمسي

وقالت ترثي أخاها صخراً متحدثة عن سخائها وشجاعتها :

أعيني : جوداً ولا تجمدا ... ألا تبكيان لصخر الندي ؟
ألا تبكيان الجريئ الجميل ... ألا تبكيان الفتى السيدا !
رفيع العماد طويل النجا ... د ساس عشيرته أمرداً

٢ – خولة بنت الأزور بن أوس بن خزيمة الأسدي :

وكانت هي شريكة في فتح الشام مع أخيه ضرار ، وكانت قصص شجاعتها وجراءتها مشتهرة بين الناس ، وتتداولها ألسنتهم فيما بينهم ، حتى قيل :

إنما كانت تفوق الرجال في البطولة والفروسية ، ويحكى أن الرومان قد سبوها مع النساء أخريات مرة ، فحملت هي معهن على حراس الخيمة – التي كانت فيها مسبية – وأطلقوا أنفسهن من أيدي الرومان ، فقرضت أشعاراً بتلك المناسبة ، منها :

نحن بنات تبع وحمير وضربنا في القوم ليس ينكر
لأننا في الحر بسناء تسعر اليوم تسقون العذاب الأكبر

ولما سبي أخوه ضرار في شمال الشام بموضع "مرج دابق" قالت أشعاراً بهذا الخصوص ، منها إليك نموذج :

ألا مخبر بعد الفراق يخبرها فمن ذا الذي يا قوم أشغلكم عنا
فلو كنت أدري أنه آخر اللقاء لكنا وقفنا للوداع و ودعنا

ولم تزل تحاول تحرير أخيه من السبي ، وما زالت تبذل قصارى جهودها المضنية في سبيله ، إلى أن ظفرت بإطلاق أخيها من أيدي العدو ، فقالت :

أبعد أخي تلذ الغميض عيني فكيف ينام مقروح الجفون
سأبكي ما حييت على شقيق أعز علي من عيني اليمن

وتوفيت في خلافة عثمان بن عفان – رضي الله عنه – عام ٣٥هـ (٧) .

٣ – خولة بنت ثابت بن المنذر :

وعدها بعض العلماء من الصحابيات ، وكانت أختاً لشاعر الرسول – ﷺ – حسان بن ثابت – رضي الله عنه – ،ويقال : إنها كانت أسيرة بعشق عمارة بن الوليد بن مغيرة المخزومي ، كما عبرت عنه بقولها :

يا خليلي نابني سهدي لم تنم عيني ولم تكد
فشرابي ما أسيغ وما أشتكي ما بي إلى أحد
كيف تلحوني على رجل فت من تذكاره كبدي

(٧) الإصابة : ٢٩٨/٤ ، تذكار الصحابيات ، ص/٣٥٩ ، بلاغات النساء ، ص/١٨٧ .

وتقول أيضاً في أشعار أخرى عنه :

يا ليتني لم أنم ولم أكد أو تلعها بالبكاء والسهد
أبكي على فتية رزئتهم كانوا حبالي فأوهنوا عضدي
ولم يعلم تاريخ وفاتها (٨) .

٤ – خولة بنت حكيم :

وهي تنتمي إلى قبيلة بني سليم ، وكانت زوجة عثمان بن مظعون – رضي الله عنه – ، وتوفي عثمان بن معظون – رضي الله عنه – في آخر عام ٢هـ ، وذكر أبو نعيم الأصفهاني معزياً إلى إسحاق السبيعي أنها ترثي زوجها عثمان بن معظون – رضي الله عنه – وأظهرت حزنها الشديد عليه في أشعار ، منها مايلي :

يا عين جودي بدمع غير ممنون على رزية عثمان بن مظعون
على امرئ بات في رضوان خالقه طوبى له من فقير الشخص مدفون
ولم أطلع على أحوالها أكثر من ذلك (٩) .

٥ – درة بنت أبي لهب عبد العزى بن عبد المطلب :

وهي ابنة عم النبي – ﷺ – ، أسلمت وهاجرت ، وكانت عند الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، وأنه قتل يوم بدر كافراً ، فتزوجها دحية بن خليفة الكلبي ، الذي بعث إلى قيصر الروم بكتاب رسول الله – ﷺ – وعن أبي هريرة ، وعمار بن ياسر وابن عمر – رضي الله عنهم – أنهم قالوا : قدمت درة بنت أبي لهب المدينة مهاجرة ، فنـزلت في دار رافع بن المعلى ، فقال لها نسوة من بني زريق : أنت ابنة أبي لهب الذي يقول الله له : ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ فما تغني عنك هجرتك ؟ فأتت درة النبي – ﷺ – فذكرت ذلك له ، فقال : اجلسي ، ثم صلى الناس الظهر وجلس على المنبر ساعة ثم أنكر على من طعن فيها (١٠) .

(٨) الإصابة : ٢٣٩/٤ ، شاعرات العرب ، ص/١٢٤ . (٩) تذكار الصحابيات ، ص/٣٦٥ .
(١٠) الإصابة : ٢٩٨/٤ ، تذكار الصحابيات ، ص/٣٥٩ ، بلاغات النساء ، ص/١٨٧ .

وإنها روت عن عائشة – رضي الله عنها – ثلاثة أحاديث ، ولها أشعار إليك منها نموذج :

لا قوا غداة الروع ضمزرة فيها السنور من بني فهر
ملمومة خرساء تحسبها لما بدت موجا من البحر

٦ – رقيقة بن أبي صيفي بن هاشم بن عبد المطلب :

وكانت شاعرة فصيحة بليغة ، قال أبو نعيم : ماتت قبل بعثة النبي – ﷺ – ، وذكرها الطبراني وغيره من الصحابيات ، وهي حدثت رسول الله – ﷺ – وأخبرته أن قريشاً قد اجتمعت تريد شأنك الليلة ، فتحول رسول الله – ﷺ – عن فراشه وبات عليه علي – رضي الله عنه – وهاجرت في نفس الليلة مع أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – من مكة إلى المدينة ، وقالت : تتابعت على قريش سنون أمحلت الضرع وأدقت العظم ، فدعا عبد المطلب واستسقى الماء لقريش من الله تعالى ومعه رسول الله – ﷺ – وهو غلام قد أيفع ، فتتابع المطر ، قال عبد الله بن جدعان وحرب بن أمية من شيوخ قريش لعبد المطلب لما سقوا على يديه : هنيئاً لك أبا البطحاء ، فقالت فيه رقيقة أشعاراً ، منها ما يلي :

بشيبة الحمد أسقى الله بلدتنا وقد فقدنا الحياة واجلوذ المطر
فجاد بالماء جوني له سبل سحاً فعاشت الأنعام والشجر (١١)

٧ – زينب بنت العوام بن خويلد بن أسد القرشية الأسدية :

هي أخت الزبير بن العوام ، أسلمت مع أخيها ، وبقيت إلى أن قتل ابنها عبد الله بن حكيم بن حرام يوم الجمل ، فرثته ، وذكرت أخاها الزبير بن العوام – رضي الله عنه – الذي استشهد فيه أيضاً – وعثمان بن عفان – رضي الله عنه – بأبيات ، منها :

قتلتم حواري النبي وصهره وصاحبه ، فاستبشروا بجحيم
وقد هدني قتل ابن عفان قبله وجادت عليه عبرتي بسجوم

(١١) الإصابة : ٣٠٣/٤ .

وعطشتم عثمان في جوف داره شربتم كشرب الهيم شرب نميم
أعيني جوداً بالدموع وأفرغا على رجل طلق اليدين كريم
وقد كان عبد الله يدعي بحارث وذي دخلة منا وحمل يتيم
فكيف بنا أم كيف بالدين بعد ما أصيب ابن أروى وابن أم حكيم (١٢)

٨ – سعدى بنت كريز بن ربيعة بن عبد شمس :

وكانت تتكهن في الجاهلية لقومها ، وكانت خالة لأمير المؤمنين عثمان بن عفان – رضي الله عنه – هناك لا تقوم أدلة قطعية على إسلامها ، بل توجد إشارات في بعض الروايات أنها أسلمت في بداية عهد الإسلام بمكة المكرمة ، ودعت عثمان بن عفان إلى الإسلام ورغبته في قبوله ، كما ذكره الحافظ ابن حجر ، فقالت :

عثمان يا عثمان يا عثمان لك الجمال ولك الشأن
وجاءه التنـــزيل والفرقان فاتبعه لا تغياك الأوثان

فلما دخل عثمان بن عفان – رضي الله عنه – في الإسلام وتشرف به ، قالت :

هدى الله عثمان الصفي بقوله فأرشده والله يهدي إلى الحق
فتابع بالرأي السديد محمداً وكان ابن أروى لا يصد عن الحق
وأنكحه المبعوث إحدى بناته فكان كبدر مازج الشمس في الأفق
فداك يا ابن الهاشميين مهجتي فأنت أمين الله أرسلت في الخلق (١٣)

٩ – سلمى بنت عميس الخثعمية :

وهي أخت أسماء بنت عميس ، التي كانت زوجة جعفر بن أبي طالب – رضي الله عنه – ، وسلمى كانت تحت حمزة عم النبي – ﷺ – ، فولدته له أمة الله بنت حمزة ، ثم خلف عليها بعد قتل حمزة – رضي الله عنه – شداد بن الهاد الليثي ، فولدت له عبد الله وعبد الرحمن ، كذا ذكر الحافظ ابن حجر ،

(١٢) الإصابة : ٣١٨/٤ ، أعلام النساء ، : ٤٥٩/١ .
(١٣) الإصابة : ٣٢٧/٤ – ٣٢٨ ، أعلام النساء : ١٩٣/٢ .

ولها أشعار ، منها ما يلي :

وكم غادر يوم العميصاء من فتى ... أصيب فلم يجرح وقد كان جارحاً
أحاطت بخطاب الأيامى وطلقت ... غدائذ من كان منهن ناكحاً (١٤)

١٠ - شيماء بنت الحارث بن عبد العزى السعدية :

شيما لقب لها ، واسمها الأصلي : حذافة ، وهي أخت النبي - ﷺ - من الرضاعة ، وحين كان النبي - ﷺ - يتربى عند حليمة السعدية ، فكانت تحضنه - ﷺ - مع أمها ، وترقصه وهو صغير :

يا ربنا أبق لنا محمداً ... حتى أراه يافعا وأمردا
ثم أراه سيداً مسوداً ... وأكبت أعاديه معا والحسدا
وأعطه عزاً يدوم أبداً

وكانت شيماء مجهولة إلى غزوة حنين ، حتى أغارت خيل رسول الله - ﷺ - بعد فتح مكة على هوازن وثقيف ، فانهزمت قبيلة هوازن وثقيف بعد حرب دامية ، فأخذها المسلمون فيما أخذوا من السبي ، فقالت لهم : أنا أخت صاحبكم ، فلما قدموا بها ، قالت : يا محمد ! أنا أختك وعرفته بعلامة عرفها ، فرحب بها وبسط رداءه فأجلسها عليه ودمعت عيناه ، فقال لها : إن أحببت أن ترجعي إلى قومك أوصلتك ، وإن أحببت فأقيمي مكرمة محببة ، فقالت : بل أرجع ، فأسلمت ، وأعطاها رسول الله - ﷺ - نعماً وشاء وثلاثة أعبد وجارية (١٥) .

١١ - صفية بنت عبد المطلب :

هي صحابية جليلة عمة رسول الله - ﷺ - ووالدة الزبير بن العوام - رضي الله عنه - أحد العشرة ، وهي شقيقة حمزة ، أمها هالة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ، وكان أول من تزوجها الحارث بن حرب بن أمية ثم هلك ، فخلف عليها العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى وتزوجها ، فولدت له الزبير والسائب ، وأسلمت بلا خلاف ، واختلف أصحاب السير في إسلام عمات النبي - ﷺ - أم حكيم بيضاء ، وأميمة ، وعاتكة ، ومرة

(١٤) الإصابة : ٣٣٢/٤ ، تذكار الصحابيات ، ص/١٥٩ ، شاعرات العرب ، ص/١١٥ .
(١٥) الإصابة : ٣٤٤/٤ ، شاعرات العرب ، ص/١١٥ ، تذكار الصحابيات ، ص/١٥٩ .

وأروس ، ولو اعتبر ابن سعد وابن قيم عاتكة وأروى من الصحابيات ، ومن سعادة صفية بنت عبد المطلب أن الناس لم يختلفوا في إسلامها ، ثم من سعادتها أنها أسلمت في العهد الحديث للإسلام ، وعدت في طائفة مباركة ذكرها القرآن الكريم بقوله : ﴿السَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ﴾ وبشرها الله تعالى بالجنة .

وهي عاشت إلى خلافة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وتوفيت فيها سنة ٢٠هـ وبلغت من عمرها ٧٣ عاماً

وقد نقل أصحاب السير والتاريخ منها عشر قصائد ، منها سبع في الرثاء في ولديها الزبير والسائب ، وواحدة في الفخر ، فقالت ترثي أخاها حمزة - رضي الله عنه - :

أسائلة أصحاب أحد مخافة ... بنات أبي من أعجم وخبير
فقال الخبير عن حمزة قد ثوي ... وزير رسول الله خير وزير

وقالت ترثي رسول الله - ﷺ - :

لهت نفسي وبت كالمسلوب ... أرقب الليل فعلة المحروب

ومن أبياتها في رثاء في النبي - ﷺ - :

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا ... وكنت بنا براً ، ولم تك جافيا
وكان بنا براً رحيماً بيننا ... ليبك عليك اليوم من كان باكيا

ومن أبياتها في الرثاء في شأنه - ﷺ - :

لفقد رسول الله إذ حان يومه ... فيا عين جودي بالدموع السواجم

ومنها في النبي - ﷺ - أيضاً :

إن يوماً أتى عليك ليوم ... كورت شمسه وكان مضيئاً
حل يوم أصبحت فيه ثقيلاً ... لا ترد الجواب منك إلياً

ومن قصيدتها الفخرية :

فسائل في الجموع بني عليّ ... إذا كثر التناسب والفخار
بأنا لا نقر الضيم فينا ... ونحن لمن توسمنا نضار

وقيل : إنها كانت من النساء المتشددات في تربية أولادهن ، وكانت تضرب ابنه الزبير على أخطائه وتقصيراته ، فاعترض عليها ، فقالت :

من قال إني أبغضه فقد كذب وإنما أضربه لكي يلب
ويهزم الجيش ويأتي بالسلب ولا يكن طالة خبء مخب
يـــأكـــل مـــا في الظل من تـــمر

وحين وصل رسول الله – ﷺ – من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة مهاجراً فاستقبلة الصحابة من الأنصار والمهاجرين ، وبهذه المناسبة السارة أنشدت البنات أشعاراً قالتها صفية بنت عبد المطلب ، وهي :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما داع الله داع (١٦)

١٢ – ضباعة بنت عامر بن قرط القشيرية :

هي ضباعة بنت عامر بن قرط بن سلمة بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وكانت من النسوة اللاتي أسلمن مع رسول الله – ﷺ – بمكة وكانت قبل الإسلام تحت عبد الله بن جدعان ، ثم سألته الطلاق ، فقال : قد بلغني أن هشاماً قد رغب فيك ، ولست مطلقاً حتى تحلفي لي أنه إن تزوجت أن تنحري مائة ناقة ، وأن تغزلي خيطاً يمد بين أخشبي مكة ، وأن تطوفي بالبيت عريانه ، فقالت : دعني أنظر في أمري ، فتركها ، فأتاها هشام ، فأخبرته ، فقال : أما نحر مائة ناقة ، فهو أهون علي ، وأما الغزل فأنا آمر نساء بني المغيرة يغزلن لك ، وأما طوافك بالبيت عريانة ، فأنا أسأل قريشاً أن يخلو لك البيت ساعة فسليه الطلاق ، فسألته ، فطلقها ، وحلفت له ، فتزوجها هشام ، ووفى لها بما قال ، فلما أحلت لها قريش البيت ، فخرجت ضباعة ، وجعلت تخلع ثوباً ثوباً وهي تقول :

اليوم يبدو بعضه أو كله فما بدا منه فلا أحله
كم من بيت عاقل يضله وناظر ينظر أعله

وقالت ترقّص ابنه سلمة بن المغيرة :

نمى به إلى الذرى هشام قدم وآباء له كرام
حجاً حج خضارم عظام من آل مخزوم هم الأعلام (١٧)

(يتبع)

(١٦) الإصابة : ٣٤٨/٤ ، شاعرات العرب ، ص/١١٢ .
(١٧) الإصابة : ٣٥٣/٤ ، شاعرات العرب ، ص/١٢١ ، تذكار الصحابيات ، ص/٣٠٤ .

إطلالة على النثر العربي في مختلف العصور

(الحلقة الأولى)

بقلم : الأستاذ مخلص الرحمن
في الدكتوراه بجامعة جواهر لال نهرو ، نيو دلهي

النثر لغة :

يقول ابن منظور في لسان العرب : "النثر نثرك الشيء بيدك ترمي به متفرقاً مثل نثر الجوز واللوز والسكر وكذلك نثر الحَب إذا بذر" (١) فيكون معناه اللغوي الشيء المبعثر أي المتفرق .

النثر اصطلاحاً :

يعرف النثر الأدبي بتعريفات متعددة وملخصة : هو التعبير عما يجيش في نفس الإنسان من الأفكار والخواطر والعواطف والانفعالات بكلام لا يتقيد بالوزن ولا القافية .

ويقول شوقي ضيف : "هو الكلام الذي لم ينظم في أوزان وقواف ، وهو على ضربين : أما الضرب الأول فهو النثر العادي الذي يقال في لغة التخاطب ، وليست لهذا الضرب قيمة أدبية إلا ما يجري فيه أحياناً من أمثال وحكم ، وأما الضرب الثاني فهو النثر الذي يرتفع فيه أصحابه إلى لغة فيها فن ومهارة وبلاغة ، وهذا الضرب هو الذي يعني النقاد في اللغات المختلفة ببحثه ودرسه وبيان ما مر به من أحداث وأطوار ، وما يمتاز به في كل طور من صفات وخصائص ، وهو يتفرع إلى جدولين كبيرين ، هما الخطابة والكتابة الفنية – ويسميها بعض الباحثين باسم النثر الفني – وهي تشمل القصص المكتوب كما تشمل الرسائل الأدبية المحبرة ، وقد تتسع فتشمل الكتابة التاريخية المنمقة" (٢) .

نشأة النثر الفني في العصر الجاهلي :

يجد الباحث مشقة كبيرة حينما يحاول تحديد زمن نشأة النثر الفني في

(١) لسان العرب ، مادة نثر . (٢) الفن ومذاهبه في النثر العربي ، ص/١٨ .

اللغة العربية إذ أن النثر الجاهلي ما زال موضوع خلاف بين العلماء عرباً ومستشرقين لأن نشأته كانت غامضة وروايته مضطربة ، وكان حظه من الحفظ أقل من حظ الشعر ، وامتدت إليه يد التحريف والنحل والإضافة فزادته اضطراباً ، فذهب هاملتون جيب (Hamilton Gibb) إلى أنه لا وجود للنثر الفني في العصر الجاهلي لأنه لغة العقل والتفكير ، لا يظهر عند أمة من الأمم إلا متى بلغت تلك الأمة درجة عالية من المدنية والحضارة ، بخلاف الشعر ، لغة العاطفة والخيال ، فإنه يرافق الإنسان منذ طفولته الإنسانية (٣) .

ويرى الدكتور طه حسين بأنه "إن فهم من النثر كل كلام لا ينظمه وزن ولا قافية فليس من شك في أن قد كان للعرب الجاهلين نثر منذ عصور قديمة جداً ، وليس من شك في أنهم تخاطبوا بالإشارات والكلمات والجمل المقتضبة قبل أن يظهر فيهم الشعور الفني الذي يحملهم على أن يتغنوا ويقرضوا الشعر ، ولكن هذا النوع من النثر إن لا يعني مؤرخ الآداب في قليل ولا كثير ... إنما النثر الذي يعني به مؤرخ الآداب هو النثر الذي يمكن أن يعد أدباً ، والذي يمكن أن يقال إنه فن ، فيه مظهر من مظاهر الجمال وفيه قصد إلى التأثير في النفس من أي ناحية من أنحائها ، هو هذا الكلام الذي يعني به صاحبه عناية خاصة ويتكلفه تكلفاً خاصاً ، ويريد أن يأخذك بالنظر فيه والتعويل عليه ، كما يعني الشاعر بشعره ، ويحاول أن يؤثر به في نفسك ، فإذا فهم النثر على هذا النحو فليس من شك في أنه قد كان عند العرب أحدث عهداً من الشعر" (٤) كبقية من الأمم التي خلقها الله تعالى في الدنيا ، ويقول الدكتور طه حسين : فنحن حين نرفض ما يضاف إلى الجاهليين من النثر ، لا نزعم أنهم قد جهلوا النثر جهلاً تاماً ولم يعرفوه إلا بعد الإسلام ، وإنما نزعم أن قد كان لهم نثر لم يصل إلينا منه شيء بطريقة علمية قاطعة أو مرجحة ، أما هذه الخطب التي

(٣) الجامع في تاريخ الأدب العربي ، الأدب القديم ، ص/٧ – ٨ .

(٤) في الأدب الجاهلي لطه حسين ، ص/٣٧٤ .

تضاف إلى وفود العرب عند كسرى ، وهذا السجع الذي يضاف إلى الكهان ، وهذا الكلام الذي يضاف إلى قس بن ساعدة ، وهذا الحكم والوصايا التي تضاف إلى حكمائهم وعظمائهم فهي مرفوضة من غير تردد ، لأنها انتحلت في العصور الإسلامية ، وأكثرها إنما انتحل في أول القرن الثاني وفي القرن الثالث للهجرة لنفس الأسباب التي حملت على انتحال الشعر من سياسة ودين وقصص وشعوبية وتكثر في الرواية وما إلى ذلك (٥) .

ولكن الدكتور زكي مبارك يرى أنه كان هناك أدب جاهلي واسع النطاق ، إنه كان للعرب الجاهليين ألسنة فصيحة وعقول ناضجة وآراء حكيمة قادرة على قيادة تلك الجماهير الحية التي تفرقت في الحواضر العربية ، ولكنه قد ضاع أكثر ذلك الأدب حتى ليصعب أن تتخذ منه أداة لوصف ما كان عليه الجاهليون من أنظمة أ دبية وسياسية واجتماعية ودينية ، وليس معنى ذلك أن نحكم بعدم وجوده ، على سبيل المثال إننا نعرف أن أبا تمام جمع كتاب الحماسة من مكتبة أحد الأمراء ونعرف كذلك أن ديوان الحماسة يشتمل على مختارات نفيسة من الأدب الجاهلي ، فإن لم توجد تلك المصادر فلن يكون معنى هذا أن أبا تمام خلق ديوان الحماسة خلقاً (٦) .

والأرجح أن الجاهليين عرفوا النثر الفني إلا أنه لم يصلنا منه إلا القليل وضاع أكثره لأسباب كثيرة منها لصعوبة حفظه وروايته وسهولة تعرضه للتحريف والنحل والإضافة بخلاف الشعر ، وأكبر دليل على وجود النثر الفني في عصر الجاهليين هو نزول القرآن الكريم لهدايتهم وإرشادهم متناسباً مع ثقافتهم وميولهم وأذواقهم وفقاً لقوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ (سورة إبراهيم الآية/٤) .

وإن أبرز ما نقل لنا من النثر الجاهلي مجموعة من الفنون النثرية ، تأتي

(٥) المصدر السابق ، ص/٣٥٢ – ٣٥٣ (إلا أننا نرفض ما يقوله طه حسين ، وهو في هذا الرأي على خطأ كبير) .

(٦) النثر الفني في القرن الرابع الهجري لزكي مبارك ، ص/٥٢ .

في مقدمتها الخطابة ، وكانت أهم موضوعات الخطابة في ذلك العصر تدور حول المفاخرات والمنافرات والمصاهرات والوعظ والإرشاد والتحريض على القتال وإصلاح ذات البين ، واشتهر في الخطابة قس بن ساعدة الإيادي ، وأكثم بن صيفي ، وعمرو بن معديكرب الزبيدي ، وهاشم بن عبد مناف ، وعتبة بن أبي ربيعة ، وتتلوها من ناحية أهمية الأمثال لسيرورتها بين عامة الناس وخاصتهم ، والأنواع النثرية الأخرى تشمل أسجاع الكهان ، والحكم ، والوصايا ، والقصص .

النثر في العصر الإسلامي :

انتقل النثر في عصر صدر الإسلام انتقالة نوعية عظيمة ، وفتح صفحة جديدة في تاريخ النثر العربي إذ أن ظهور الإسلام كان انقلاباً دينياً اجتماعياً سياسياً ، ولا بد لكل انقلاب من آثار يخلفها في نفوس أصحابه وعقولهم ، فيحدث تغيير في أدابهم وعلومهم ، فالإسلام قد غير العقلية العربية تغييراً بنـــزول القرآن وبالحديث النبوي الشريف ، واستأصل ما كان في حياتهم من الفوضى والهمجية والخرافة والوثنية والعداوة والبغضاء ، وغرس في نفوسهم الخضوع لله والانقياد لأمره ، ورسم لهم قيماً روحية وعقلية واجتماعية وإنسانية .

فقد أثر القرآن الكريم آثاراً بعيدة في اللغة العربية ، فقد حول أدبها من قصائد في الغزل والحماسة والأخذ بالثار والفخر ووصف الإبل والخيل والسيوف والرماح ، ومن حكم متناثرة لا ضابط لها ولا نظام ، إلى أدب عالمي يخوض في مشاكل الحياة والجماعة ، وينظم أمورها الدينية والدنيوية ، فارتقى الأدب العربي رقيا لم يكن يحلم به العرب ، واتسعت آفاقه ، وعادة يشير مؤرخو هذا الأدب إلى بعض ألفاظه التي ابتدأها ابتداء مثل القرآن والفرقان والكافر والمشرك والمنافق والصوم والصلاة والزكاة ، فمدلولات هذه الألفاظ لم تكن حتى كان ، والحق أنه جميعه بألفاظه ومعانيه المختلفة يعد ابتداءً ، بما علم العرب من أسس الإسلام ومبادئه وبما بين لهم من ماهية الحياة بعد الموت ومن البعث والنشور ورسالة الرسل وعبادة الله الواحد الأحد ، وبما نظم لهم من حياتهم في الأسرة والجماعة تنظيماً مادياً وأدبياً وعقلياً وروحياً ، تنظيماً

يكفل لهم الكمال البشري والسعادة في الدارين ، وعلى نحو ما جمع العرب على دين واحد جمعهم على لهجة واحدة من لهجات اللغة العربية ، هي لهجة قريش ، وكانت قد سادت في الجاهلية على لهجات القبائل العدنانية الشمالية ، فأتم لها هذه السيادة على لهجات القبائل اليمنية الجنوبية ، وكانت هي التي حملها العرب معهم في الفتوحات ، فانتشرت في العالم الإسلامي جميعه ... فالقرآن هو الذي حفظ اللغة العربية وأتاح لها الحياة على توالي القرون ، وهو الذي نقلها من لغة بداوة إلى لغة مدنية ، حتى أصبحت لغة عالمية لأمم كثيرة اتخذتها لسان ثقافتها وآدابها ، ولا يوجد في تاريخ البشرية كتاب له هذه الآثار العظيمة في لغته ، تغيير أحوال من آمنوا به ، بل هو يقف وحده في هذا الباب ، إنه مفخرة العرب ومعجزة الإسلام وآيته الباهرة" (٧) .

"كان للقرآن الكريم أثر كبير في العالم العربي والعلمي فقد وحد اللغة العربية وحفظها ووسع نطاقها ، وعمل على تليينها وتهذيبها ، ثم أن كان أساس العلوم اللغوية والبيانية عند العرب ، وهو أبداً المثال الأعلى في الفصاحة والبلاغة" (٨) .

وكذلك الأحاديث – وهي في المنـــزلة الثانية من كتاب الله فيما يتعلق بالدين والثقافة – التي صحت عن رسول الله موسومة بطابع البيان والإلهام والعبقرية ، لنشأته في قريش ، واسترضاعه في بني سعد وهي أفصح القبائل العربية ، وتضلعه من لغة القرآن ، واطلاعه على لغة العرب ، وقدرته الفطرية على ابتكار الأساليب العالية ، ووضع الألفاظ الجديدة لما استحدث من المعاني الدينية والفقهية ؛ ولكن قيمتها اللغوية ودلالتها التاريخية لا تسموان إلى مكان القرآن في ذلك ، لأن القرآن كان يدونه عند نزوله كتبة الوحي ، وكونه كلام الله جعل الاحتفاظ بنصه فرضاً "فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه" ، أما الحديث فلم يدون إلا حوالي منتصف القرن الثاني

(٧) الفن ومذاهبه في النثر العربي ، ص/٤٦ – ٤٧ .

(٨) الجامع في تاريخ الأدب العربي ، الأدب القديم ، ص/٣٣٣ .

للهجرة وكان قبل ذلك يروى من الذاكرة ، والذاكرة كثيراً ما تخون ، فناله من تغيير الكلمات واختلاف الروايات أكثر مما نال الشعر الجاهلي (٩) .

فإن الحديث أيضاً أثر في اللغة والأدب كما أثر القرآن فيهما ، وإن كان لا يبلغ أثره أثر القرآن ، لأنه دونه في البلاغة ، وإن كان قائله أبلغ العرب قاطبة وأفصحهم ، ويمكن أن نلاحظ أثره في أنه عاون القرآن الكريم في انتشار العربية ، وفي حفظها وبقائها ، وكان له أثر أيضاً في توسع المادة اللغوية بما أشاع من ألفاظ دينية وفقهية لم تكن تستخدم من قبل هذا الاستخدام الخاص ، وقد أقبل العلماء في مختلف الأمصار الإسلامية ، وعلى تعاقب الأعصار ، يدرسونه ويتحفظونه ويشرحونه ويستنبطون منه ، وحقاً أن كثرته رويت بالمعنى ، ولكن هذا لا يقلل من قيمته اللغوية ، إذ كانت ألفاظه تدور في عصور سبقت عصر فساد اللغة ، وهي من أجل ذلك ألفاظه عربية سليمة ، وبالتالي هي كنـــز ثمين ، وقد استمد المتأدبون من هذا الكنـــز في رسائلهم وأشعارهم ما أضاف إليها – على مر العصور – رونقاً وطلاوة ، وما يزال ذلك شأنهم إلى اليوم (١٠) .

ويتمثل النثر الفني في هذا العصر في الخطابة والرسائل ، وازدهرت الخطابة ازدهاراً شديداً لتوافر عواملها وشدة الحاجة إليها ؛ لأن العهد كان عهد صراع فكري ثم صراع سياسي ؛ والوفود إلى النبي العربي تتبع الوفود ؛ وميادين القتال تتسع للقتال اتساعاً كبيراً ؛ وما هنالك غير الخطابة للوصول إلى العقول ، وما هنالك غير اللسان في الجماهير يقرع الحجة بالحجة ، ويصدع الأسماء بالآراء والبراهين (١١) ، وكان النبي ﷺ أخطب العربي قاطبة ، وقد كان يخطب في قريش كثيراً يدعوها إلى دينه الحنيف ، والدخول في طاعة الله

(٩) تاريخ الأدب العربي ، ص/٩٥ .

(١٠) تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي لشوقي ضيف ، ص/٤٠ .

(١١) الجامع في تاريخ الأدب العربي ، الأدب القديم ، ص/٣٣٥ – ٣٣٦ .

ومحبته ، ولما هاجر إلى المدينة أصبحت الخطابة فريضة مكتوبة في صلاة الجمعة والعيدين ، وبذلك عرف العرب ضرباً منظماً من الخطابة الدينية لم يكونوا يعرفونه في الجاهلية ، إذ كانت خطابتهم اجتماعية ، وكانت تدور غالباً على المنافرات والمفاخرات ، وقد دعا الإسلام إلى نبذ التفاخر والتكاثر بالأحساب والأنساب ، ومن ثم اختفى من حياتهم هذا اللون من الخطابة (١٢) .

فالخطابة كانت خطابة دينية في صميمها توضح الآيات وتأتي بالبينات وهي في الوقت نفسه خطابة دفاعية تدحض آراء الخصوم ، وترد على كل معاند ومكابر ، وكان النبي يفسر تعاليمه في المساجد ، ويبسط الآراء والشرائع ، ويهاجمهم التيارات الفكرية القائمة والعادات والتقاليد البالية ، وهكذا كان الخلفاء يواصلون العمل الفكري الجديد ويخطبون في الجماهير لترسيخ الحياة الجديدة في الأذهان والقلوب ، ناهجين نهجه ، مهتدين بهديه (١٣) .

أما الكتابة فهي أخذت تستخدم منذ هذا العصر على نطاق واسع لا في كتابة القرآن فحسب ، بل في كتابة كل ما يهم المسلمين في معاملاتهم وعقودهم ، إذ أصبحت تؤدي تعاليم الدين الحنيف ، وكل ما أقامه لصلاح الجماعة الإسلامية وسعادتها ، وكل ما فرضه من معان إنسانية في معاملة من يدخلون في لوائه وفي ذمة الله وعقده ، وكان الرسول عليه السلام يستخدمها في جميع مواثيقه وعهوده ، وكذلك كان الخلفاء الراشدون من بعده ، وتكتظ كتب الحديث والتاريخ والأدب بهذه العهود والمواثيق ، سواء منها ما كان على لسان الرسول وما كان على لسان خلفائه ، فتطورت الكتابة تطوراً واسعاً وتعددت الموضوعات التي تناولتها والتي لم يكن للعرب بها عهد قبل الإسلام ورسالة صاحبه النبوية (١٤) .

(١٢) الفن ومذاهبه في النثر العربي ، ص/٥٢ .

(١٣) الجامع في تاريخ الأدب العربي ، الأدب القديم ، ص/٣٣٧ .

(١٤) تاريخ الأدب العربي ، العصر الإسلامي لشوقي ضيف ، ص/١٣٠ – ١٣٥ .

النثر في العصر الأموي :

تطور النثر في العصر الأموي وتعددت أغراضه لتطور العقلية العربية والإسلامية ؛ والرسائل تحولت في بعض صورها إلى محاجة تشتمل على الجدل وتعتمد على الإقناع وبسط الكلام ، وبجانب الخطب والرسائل نجد محاضرات الوعاظ التي تطول ويصعب حفظها ؛ فقد كان الحسن البصري وغيره يجلسون للوعظ في المساجد فيتدفق الكلام من أفواههم في أسلوب يخلب الألباب ، ونجد من أنواع النثر في هذا العصر المناظرات التي تعقد بين المعتزلة والقدرية والمرجئة والخوارج ، ونجد في هذا العصر أنواعاً من التأبين قد تتقدم على كثير من الخطب في تأثيرها (١٥) ، ولكن من أهم أنواع النثر في هذا العصر الخطب والرسائل .

قد أسهمت في ازدهار الخطابة في هذا العصر عوامل مختلفة ، منها السياسي ، ومنها الديني ، ومنها العقلي ، إذ كثرت الأحزاب السياسية المعارضة لبني أمية وكثر مشعلو الفتن والحروب الداخلية لا سيما بعد مقتل عثمان بن عفان ، وظهرت فرق فكرية ومذاهب دينية ، وكان لكل فرقة دعاة ومبشرون يستعينون بالخطابة لنشر فكرهم والدفاع عنها .

وكانت الخطابة الأموية سياسية في الدرجة الأولى ، فكان للحزب الأموي خطباؤه يدعون إلى طاعته ، ويعلنون حقه في الخلافة ، ويناهضون مناوئيه ، ويهددون الخارجين والمارقين ، ومن أشهر هؤلاء معاوية بن أبي سفيان وزياد بن أبيه والحجاج بن أبي سفيان ، وكان للشيعة خطباؤها وعلى رأسهم الإمام علي بن أبي طالب ، ودعواهم أن الخلافة حق شرعي لهم ، وأن معاوية مغتصب ، وكان للزبيرية خطباؤها وعلى رأسهم عبد الله ومصعب ابنا الزبير ، واعتمادهم على الآيات لتكفير الأمويين وإظهار مروقهم ونفاقهم ، وكان للخوارج خطباؤهم وفي مقدمتهم قطري بن الفجاءة ، وإلى جانب الخطابة السياسية ، ازدهرت الخطابة الدينية بتعدد فروعها واختلاف تشعباتها ، فهنالك خطب الجمع والمحافل الدينية تفصل التعاليم ، وتدعو إلى الذكر

(١٥) الأدب العربي وتاريخه ، العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام والعصر الأموي ، ص/٣١٧ .

والتذكير وتحث على التقوى ، وفي هذا العهد ظهرت أيضاً خطابة المناظرة ولا سيما عند اشتداد الخلاف بين علي ومعاوية ، وبين أهل العراق والشام (١٦) .

أما الرسائل فهي نمت نموا واسعاً في هذا العصر لتفرق العرب في الأمصار ، ولتعدد ولايات الدولة ، ولكثرة الاتجاهات السياسية والفرق الدينية ، فقد كانت هناك رسائل سياسية تصدر عن دواوين الخلفاء والولاة أو عن خصومهم ، ورسائل اجتماعية يتبادلها الناس في أمور حياتهم الشخصية ، ورسائل دينية ، منها ما يأخذ شكل الموعظة ، ومنها ما يأخذ شكل الحوار والجدل حين يتعرض شخص للرد على صاحب نحلة من النحل (١٧) ، هكذا أخذ العرب يتحولون سريعاً من أمة أمية لا تعرف من المعارف إلا ما حواته الصدور ووعته الآذان إلى أمة كاتبة تدون معارفها العربية والإسلامية واضعة بعض المصنفات ومضيفة إلى ذلك بعض المعارف الأجنبية (١٨) ، وظلت كتابة الخراج في الأقاليم بلغة أهل المصر إلى أن حذقها طائفة من العرب في عهد بني أمية . فتولوا شؤونها ، ونقلوا الكتابة فيها إلى اللغة العربية ، ومنذ ذلك الحين اتخذ النثر العربي اتجاهاً جديداً قائماً على التفصيل والتطويل ، وانفتح باب الرسائل والتصنيف ، فكانت الرسائل أبحاثاً مختلفة في السياسة والكتابة وما إلى ذلك ، وكان التصنيف كتباً في موضوعات مختلفة كالتاريخ وغيره ، وقد ظهر التأنق في الرسائل ، وراح كتابها يتنافسون في الزخرفة وحسن الأداء ، والموسيقى الصوتية مقتبسين من أساليب الفرس والروم تفخيماً ومنطقاً ، وراحوا يضعون للكتابة أصولاً وقوانين تجري عليها ، وانقلبت الطبيعة والفطرة إلى صنعة ، وكان زعيم هذا الأسلوب في ذلك العهد عبد الحميد بن يحيى الذي لقب بالكاتب تعظيماً لشأنه وإقراراً بفضله (١٩) .

(يتبع)

(١٦) الجامع في تاريخ الأدب العربي ، الأدب القديم ، ص/٣٥٨ – ٣٥٩ .

(١٧) الفن ومذاهبه في النثر العربي ، ص/١٠٢ .

(١٨) تاريخ الأدب العربي ، العصر الإسلامي ، ص/٤٥١ .

(١٩) الجامع في تاريخ الأدب العربي ، الأدب القديم ، ص/٣٧٥ .

شعـــر وأدب:

رثـــــاء

بقلم : الدكتور علي الطويل
مركز جمعة الماجد والتراث ، دولة الإمارات العربية المتحدة

عدت المنايا وهي ذات عواد ... وتبدلت حلل السنا بسواد
وتزاحمت شم الحتوف نواهلا ... تترى تنابه في الفؤاد الصادي
حتى علا وقع النوائب هامها ... وتباعدت في الدهر أي بعاد
كالرسم باتت تحت حومة دارس ... مكلومة الأطناب والأوتاد
تشكو الرزايا حين طوح دهرها ... جيلا من الأبناء والأحفاد
عكفوا على نهج الدنية وارتدوا ... ثوب المذلة بعد طول جهاد
وتفننوا في وأد كل كرامة ... الناعقون وراء كل مناد
صوت النذير إذا انتهى في حيهم ... ألفيتهم بمراتع الأوغاد
من مبلغ الصيد الأشاوس جمعهم ... أم أنهم في الصد صنو جماد
لهفي على أم تلوعت النوى ... مصفودة الأطراف والأجياد
تشكو القلا ، والهجر ألهب أضلعا ... لكأنني أصغي لها ، فتنادي
أنا أمكم أين المروءة والوفاء ؟ ... أين المودّة أين حسن ودادي ؟
أين الشهامة أين بر حبيبة ؟ ... أوَما دعيتم في الورى أولادي ؟
ها قد رميت وقد أهبتكم ضحى ... فالصد أضحى والضنى عوّادي
والليل أسرج خيله وركابه ... وتداعت البلوى ، وطول سُهادي
والجور أحكم في المراجع قبضه ... حتى اكتست بالحزن ثوب حداد
بالأمس قدسي قد طويت عزاءها ... واليوم نوحي في ربا بغداد

*****

دراسـات وأبـحاث:

صحيح الإمام البخاري يصدر في طبعة جديدة

مع حاشية السهارنفوري

بقلم : الأستاذ محمد سكحال
باحث برابطة العالم الإسلامي مكة المكرمة (المملكة العربية السعودية)

قصتي مع الجامع الصحيح لأمير المؤمنين في الحديث عجيبة ، فقد كنت منذ عشرين سنة خلت إماماً في أحد مساجد بلادنا ، إذ جاء رجل غريب عن البلد لا أعرفه ، وأهدى إلي كتابين أحدهما صفوة التفاسير للصابوني ، والثاني صحيح البخاري في طبعته السلطانية الواقعة في أربعة أجزاء ، ثم ما لبثت إلا قليلاً حتى أهدى إلي أحد الإخوة بعض مكتبته ، وكان منها فتح الباري للحافظ ابن حجر ، فسررت له أيما سرور ، وأكببت عليه أطالع فيه ، ثم رحلت إلى الشام ، وفي أوائل عهدي بها جاء أحد أصدقاء بعض من سبقني إليها ، فأهدى إلي كل واحد منا – وكنا ثلاثة نفر – فهارس شروح البخاري للقسطلاني والعسقلاني والعيني ، وهو كتاب قيم يقع في أربعة أجزاء ضخام .

أكرم الله هؤلاء الرجال بغاية الإكرام ، وعاملنا وإياهم بواسع فضله وإحسانه .

ثم مضت السنون وكتب الله الرحلة إلى مكة زادها الله تشريفاً وتكريماً ، فلما تم علي الاستقرار بها عشر حجج ، وصلتني نسخة من الجامع الصحيح مع حاشية السهارنفوري ، مطبوعة في دار البشائر الإسلامية في خمسة عشر مجلداً ضخماً ، فتسلمتها بواسع التقدير وعظيم الامتنان ، من يد خادمها ومحققها الأستاذ الجليل الدكتور تقي الدين الندوي حفظه الله ونفع بجهوده الأنام ، وكان ذلك بجوار بيت الله الحرام ، في عصر أحد أيام العشر الأواخر من رمضان المبارك من العام ١٤٣٢ ، فانظر إلى فضل الله ما أعظمه :

وبعد هذه الديباجة اللطيفة أقول :

لقد اختص رب العزة جل جلاله هذه الأمة ، مزيداً لها في الإكرام والإنعام ، بخصيصة الحفظ والإسناد ، فانتدب من صفوة أبنائها في قديم الزمان

وحديثه ، من يحفظ عليها كتاب ربها وسنة نبيها ، في الكتب والصدور ، ويعتني بهما نقلاً ورواية ، طبقة بعد طبقة ، في زماننا هذا وإلى ما شاء الله من قادم الأزمان .

ولئن كان لكل أمة مزية تعتز بها وتفخر ، فإن المزية التي ترفع بها هذه الأمة لواء فخر ، هي مزية الإسناد الذي رآه بعض السلف من الدين ، كما قال عبد الله بن المبارك : الإسناد من الدين ، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء ، رواه عنه مسلم في مقدمة صحيحه ، وليس الإسناد في توارث علم الشريعة في أجيال الأمة ، أمراً محموداً أو مطلوباً لمجرد التبرك وحصول الشرف بقولك : حدثني شعبة عن الأعمش ، ومالك عن أبي الزناد ، بل كان ، ذلك كذلك لئلا يُدعى في الشريعة ما ليس منها ، كما قال ابن المبارك ، وللكشف عن أحوال الرواة جرحاً وتعديلاً ، وتضعيفاً وتوثيقاً ، والوصول بذلك فيما رووا من الأخبار ، إلى تمييز الصحيح الذي تبنى عليه الأحكام لحصول الثقة بنقلته ، من العليل الذي ينبذ بالعراء ، ولا يلتفت إليه إلا للاعتبار به في بعض أحواله .

وبالاعتماد على الإسناد والنظر في أحوال رجاله ، صار كل ما أسند إلى رسول الله ﷺ ما اتصل به والتحق بمعناه وجرى مجراه ، معلوماً من حيث الصحة والضعف أو قابلاً لذلك ، لدى أئمة هذا الفن وجهابذته النقاد ، بمجرد فحص سلسلة إسناده .

وجرى عرف الرواية للأخبار بتعدد طرق التحمل من التلاميذ عن الشيوخ ، واختصاص كل طريق أو كيفية باسم تواضع عليه أهل الفن واصطلحوا ، كالمناولة والإجازة والمكاتبة ، ويختلف بعضها عن بعض في قيمتها من حيث الاعتماد وفي درجة قوتها في الإسناد ، وأعلاها السماع من لفظ الشيخ وهو يملي من حفظه أو يقرأ من أصله أي كتابه ، يتلوه في الرتبة العرض ، وهو أن تقرأ أو يقرأ غيرك على الشيخ وهو يسمع ويقر بصحته ضمناً من مطابقته لما يسمع بما في حفظه أو أصل كتابه .

واصطلح المحدثون ، طلباً للزيادة في الاعتناء بالرواية وتمييز أنواعها ،

على ألفاظ تميز الكيفية التي تم بها التحمل لدى الأداء ، وأثبتوها في التصانيف وفي مجالس الإملاء ، وبهذه المكابدة في صيانة العلم من الأخطاء والأوهام على قدر المستطاع ، اشتغل المسلمون بتصحيح ما نسخ من الكتب المصنفة – وفي مقدمتها كتب علم الحديث الحافظة للسنة – وضبطها إما ضبطاً مباشراً لدى قراءتها على مصنفيها ، وإما بالمقابلة على أصول مسموعة عليه مصونة عند أصحابها من دواخل التصرفات بزيادة أو نقص أو تبديل لفظ مكان لفظ .

ولما كانت الغاية المقصودة من السنة ، أن تكون معيناً لفهم القرآن ، وبيان المراد منه بإيضاح مشكلة ، وتفصيل مجملة ، وتخصيص عمومه ، وتقييد مطلقه ، ثم لتكون تشريعاً مفصلاً يعمل بمقتضاه المسلمون ، سواء وردت في محل البيان لكتاب الله أو منشئة لحكم مستقل لا أصل له فيه ، لما كان المراد من تشريعها هذا وذاك ، وكان بالأمة حاجة إلى جوامع من المصنفات تحيط بأبواب الدين وشعبه ، حتى يكون ذلك ممهداً بين يديها ، قريب المنال منها لحفظه وفقهه والعمل بمقتضاه ، عمد بعض أئمة العلم بالحديث وفنونه ، إلى إسعافها بهذه الحاجة العامة ذات الأهمية الكبيرة ، وكفايتها فيها ، فانتقوا من أصول مروياتهم نقايات ألفوا منها جوامع في السنة ، وكان في مقدمة هذه الدواوين الجامعة ، ديوان أبي عبد الله محمد إسماعيل البخاري الجعفي (ت ٢٥٦هـ) ، وسماه : "الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه" ، وأثنى عليه خاتمة شراحه الحافظ ابن حجر بما لا مزيد عليه ، إذ قال : اختص بالمرتبة العليا ، ووصف بأنه لا يوجد كتاب بعد كتاب الله مصنف ، أصح منه في الدنيا ؛ وذلك لما اشتمل عليه من جمع الأصح والصحيح ، وما قرن بأبوابه من الفقه النافع الشاهد لمؤلفه بالترجيح ، إلى ما تميز به مؤلفه عن غيره بإتقان معرفة التعديل والتجريح .

ولهذه المزية التي فاق بها الجامع الصحيح نظائره في موضوعه وأبوابه ، كتب له من الخدمة والاعتناء ما لم يكتب لسواه : فاهتبل الناس به اهتبال الضنين بأنفس ما يملك ، واتخذوه إماماً في السنة ، وقدموه على ما سواه

باعتبار مطلق الأصحية والتفنن في الرواية والتبويب ، وإن قدم بعضهم غيره عليه باعتبارات أخرى جزئية ، فكثر رواته الذين أخذوه عن تلميذه ووراقه أبي عبد الله محمد بن يوسف الفربري (ت ٣٢٠هـ) ، وروايته أشهر روايات البخاري على الإطلاق ، لتميزها بتلقيه إياها سماعاً من المصنف مرتين : إحداهما ببلده فربر سنة ٢٤٨هـ ، والأخرى ببلد شيخه بخاري سنة ٢٥٢هـ .

بلغ رواة البخاري عن الفربري المئات ، اشتهرت بضعة منهم شهرة خاصة ، فكانت نسخهم هي العمدة لدى المتأخرين ، وقد تولى بيان ما بينها من اختلاف الألفاظ ، إمام الفن في عصره وخاتمة محققيه الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرحه العجاب : فتح الباري ، وكان فتحاً عليه من الباري حقاً !

ولقي الجامع الصحيح العناية في مختلف الجوانب المتصلة برجاله ومعانيه ، ما لا يحصى كثرة وتنوعاً ، منذ نجز تصنيفه وصار إلى أيدي الناس ، يتنافسون فيه حفظاً وقراءة في المجالس ، ونسخاً وجلباً لنسخه إلى مختلف الأقطار والأمصار ، فمن معتن بتفسير غريبه وإيضاح مشكله ، ومن معرف برجاله ، ومن مخرج لأطرافه مبين لمواضعها وتكرارها من الكتب والأبواب ، ومن كاشف لوجوه التناسب المعنوي بين تراجم الأبواب ، والأحاديث المسوقة فيها ، وكيفية استنباط البخاري المعاني والأحكام منها .

ومنهم من شرح الكتاب شرحاً كاملاً ، وتطرق للفنون المذكورة وسواها ، أصالة أو عرضاً بسطاً أو اختصاراً ، استيفاء أو انتقاء كالخطابي والداودي والكرماني وابن بطال وابن التين والزين بن المنير والعيني والقسطلاني ، في آخرين أحصى الباحث في التراث العربي الأستاذ فؤاد سزكين ، ما يوجد من شروحهم ستة وخمسين شرحاً بين مخطوط ومطبوع ، وتقصى الأستاذ محمد عصام عرار الحسيني ، الأعمال العلمية التي خدم بها البخاري ، من شروح وغيرها ، فأنهاها إلى ثلاثمائة وخمسة وسبعين عنواناً ، وذلك في بحثه المسمى : "إتحاف القاري بمعرفة جهود أعمال العلماء على صحيح البخاري" ، ولك أن تقول وأنت محق صادق إن شاء الله : لقد أفرغ الرجال عقولهم في خدمة هذا

الكتاب العظيم ، وإبراز كل ناحية من نواحيه ، وبلغوا فيه الغاية مما يصل إليه الذكاء ، وتنتجه الأفهام والأقلام ، وينتهي إليه الخيال في التحقيق والتدقيق ، والتجزئة والتحليل ، والشرح والتفصيل .

وغير خاف على ذوي الأفهام ، أن الشرح الذي وضعه الحافظ ابن حجر العسقلاني ، هيمن على ماسبقه من الشروح واستوعب زبدتها ، مع زيادات كثيرة من البحوث والتحريرات في المعاني والأسانيد ، أوفى بها على الغاية في خدمة الكتاب من جميع الجوانب ، خدمة لا يشق له فيها غبار ، فلله دره رحمه الله ، وما أصدق قولة من قال حين سئل أن يضع شرحاً على البخاري : لا هجرة بعد الفتح !

هذا ، وقد بزغ فجر يقظة علمية في دهلي الإسلامية ، منذ ثلاثة قرون خلت ، دارت رحاها على قطب الاعتناء بالحديث والإقبال على علومه وتصانيفه في الرواية والدراية ، ثم انتشرت هذه النهضة العلمية المباركة في عدد من أقاليم شبه القارة الهندية وحواضرها ، مثل لكنو وسهارنفور وأعظم كره ومباركفور وديوبند : وكان ذلك خيراً أراد الله عز وجل به تلك البلاد وأهلها : إذ صرف هممهم لحفظ سنة نبيه المصطفى ﷺ ، وإحياء علومها ، فتنافسوا في اقتناء كتبها واسترخصوا في تحصيلها نفائس الأثمان ، وجابوا في طلبها أقاصي البلاد ، وقطعوا الأغوار والأنجاد ، حتى جمعوا من المخطوطات شيئاً كثيراً ، ونفقت بينهم سوق النسخ ، إلى أن تمكنوا من إنشاء المطابع في أواسط القرن التاسع عشر ، فطبعوا الكثير من أمهات كتب السنة وغيرها ، ووزعوها في الهند وخارجها حتى وصلت إلى البلاد العربية .

وأنشأوا العديد من المدارس ودور العلوم والكليات والجامعات الإسلامية ، وبرز منهم العديد من العلماء ، ونفعوا الطلاب بالإقراء والتدريس والتحفيظ ، والشرح والتنقيح ، كما يتجلى ذلك من تراجمهم وتلخيص أعمالهم في كتابي "الثقافة الإسلامية في الهند" والأجزاء الأخيرة من "نزهة الخواطر" ، للمؤرخ العلامة عبد الحي الحسني فحقيق على الأمة أن تعرف لهم فضلهم في

الخدمة الجليلة التي خدموا بها الأصل الثاني من أصول التشريع الإسلامي .

وكان من أولئك الأعلام الأفذاذ ، الشيخ أحمد علي بن لطف الله السهارنفوري (ت ١٢٩٧هـ) أحد كبار المحدثين والفقهاء الذين أنجبتهم سهارنفور في القرن الثالث عشر ، المسند المفيد ، صاحب التعليقات المفيدة على الكتب العديدة من دواوين الحديث ، وتخرج على يديه كثير من المشاهير ، من أمثال إمداد الله المكي ومحمد قاسم النانوتوي ورشيد الكنكوهي وشبلي النعماني .

أولى السهارنفوري أصح كتاب في الإسلام بعد كتاب الله ، عناية فائقة ، فطبعه في المطبعة التي أنشأها في دهلي ، فيما بين سني (١٢٦٧هـ - ١٢٧٠هـ) ، ثم أعاد طباعته ثانية بعد خمس عشرة سنة : أي في سنة ١٢٨٢هـ فكانت هذه الطبعة الهندية للبخاري متقدمة على الطبعات المصرية التي صدرت في وقت مقارب ، وأشهرها وأمثلها الطبعة السطانية التي تمت في المطبعة الأميرية ببولاق سنة ١٣١١هـ ، باعتناء وتصحيح الشيخ علي المكاوي ، على نسخة الفقيه المحدث شرف الدين أبي الحسن علي بن أحمد اليونيني البعلي الحنبلي (ت ٧٠١هـ) ، التي هي معول المتأخرين ، مع نسخ أخرى مرمزة في الهوامش .

وقد اعتمد السهارنفوري في تصحيح الكتاب على نسخة مدققة بدرجة عالية ، تتميز بكونها معتمدة على نسخ عديدة نادرة وموثقة وقعت له رحمه الله ، لعل من أعرقها وأتقنها نسخة الإمام رضي الدين أبي الفضل الحسن بن محمد العدوي الصغاني الهندي (ت ٦٥٠هـ) ، وهي نسخة مقابلة على أصل مقروء على الفربري تلميذ المصنف .

كان جل اعتماد الإمام السهارنفوري على هذه النسخة الصغانية التي فيها زيادات على اليونينية ، أشار إليه الحافظ ابن حجر في شرحه ، وأظهرتها هذه الطبعة ، كما اعتمد على نسخة أخرى اتخذها أصلاً لتعليقاته النفيسة ، لشيخه مسند الهند في عهده المحدث محمد إسحاق سبط الشيخ عبد العزيز بن الإمام أحمد بن عبد الرحيم شاه ولي الله الدهلوي ، وقد استرشد الشيخ محمد

إسحاق في تحرير نسخته هذه ، بنسخة جده لأمه عبد العزيز الذي اعتمد هو الآخر كثيراً في تكوين نسخته على أصل والده ، إذ يلحظ الناظر تطابقاً بينهما في الكثير من المباحث .

فرجع الفضل إلى مجدد الإسلام وباعث النهضة العلمية في الهند في القرن الثاني عشر ، الإمام ولي الله الدهلوي ، فقد أحيا الله عز وجل ، بجهوده وجهود أولاده وأسباطه وتلاميذهم ، السنة وعلوم الحديث في تلك الديار ، وعلى كتبه وأسانيده المعول والمدار .

وقد كانت مكة زادها الله تشريفاً وتعظيماً ، على مدار التاريخ الإسلامي ، مثابة وملتقى للعلماء الوافدين من مختلف الأصقاع الإسلامية ، تصل بينهم بواصلة العلم الذي هو رحم بين أهله ، فيفيد بعضهم من بعض فوائد شتى كالمذاكرة وتلقن القراءات القرآنية ، ورواية الكتب الحديثية ، وتعلم الفقه والأصول ، واستنساخ الكتب والاستجازة فيها ، والخلاصة أنها كانت كما قيل :

من زار بابك لـــم تبرح جوارحه تروي أحاديث ما أوليت من منـــن
فالعين عن قرة والـــكف عن صلة والقلب عن جابر والسمع عن حسن

ولم تكن المدينة النبوية بأقل نصيبا من توأمتها مكة المكرمة ، في هذه الخصيصة المنيفة ، وكأنهما لما كانتا مصدر علوم الإسلام ، فقد أراد الله لهما أن تبقيا معقلاً له وحافظاً إلى آخر الدهر .

وبهذا السبب الذي يعد الحج إلى بيت الله الحرام أكبر بواعثه ، انتشرت كثير من الكتب بين المشرق والمغرب ، وبهذا السبب أيضاً اتصل العلامة السهارنفوري في مرحلة الطلب ، بعدد من مشايخ الحرمين الشريفين ، فتعلم منهم وروى عنهم .

وبه أيضاً حصل الإمام ولي الله الدهلوي ، على نسخة قيمة من الجامع الصحيح ، لشيخ شيوخه المسند عبد الله بن سالم البصري ثم المكي (ت ١١٣٤هـ) الذي سلخ أكثر من عشرين سنة ، في تحقيقها وتدقيقها ومقابلتها بنسخة اليونيني وغيرها من النسخ المعتمدة لصحيح البخاري ، وأثبت فروق

تلك الأصول على الهوامش ، قال الكتاني في فهرس الفهارس : رأيت في المدينة المنورة ، عند المسند الشيخ طاهر سنبل ، نسخة عبد الله بن سالم البصري بخطه من الصحيح ، ثمينة ، وهي نهاية في الصحة والمقابلة والضبط والخط الواضح .

فصحح الدهلوي نسخته المشار إليها أعلاه ، على نسخة البصري هذه ، غير أنه أسقط الفروق المذكورة فلم يحفل بها .

وبهذا يتبين لك أن السهارنفوري أمسك بحبلين متينين ، في إخراج هذه النسخة التي علق عليها حواشيه من الجامع الصحيح : يتصل أحدهما باليونيني والآخر بالصغاني ، وهما أصح الأصول للجامع الصحيح في العالم ، عليهما عول الشراح المتأخرون كابن حجر والعيني والقسطلاني .

ولليونينية ميزة في الإتقان والتوثيق ، أكسبتها تقدماً على ما سواها ، وجعلتها أجل أصل يوثق به ويعول عليه : وذلك أن صاحبها عارضها على أربعة أصول معتمدة في غاية الإتقان .

١ - أصل مسموع على الحافظ أبي ذر الهروي ثم المكي (ت ٤٣٤هـ) الذي سمعه من شيوخه الثلاثة : أبي إسحاق المستملي (ت ٣٧٦هـ) وأبي محمد السرخسي (ت ٣٨١هـ) وأبي الهيثم الكشميهني (ت ٣٨٩هـ) ، وثلاثتهم تلقوا الجامع الصحيح عن الفربري عن المصنف ، ويبدو من تتبع صنيع الحافظ ابن حجر في شرحه ، أنه اعتمد بدرجة كبيرة على رواية أبي ذر الهروي لكونها أتقن الروايات فقد اعتنى الهروي بضبطها ، وميز ما اختلف من سياقها بعضه عن بعض ، ويتصل سند البخاري عندنا في المغرب في أشهر رواياته ، من طريق عن ابن عبد الله محمد ابي سعادة عن أبي علي الصدفي عن أبي الوليد الباجي عن أبي ذر الهروي .

٢ - أصل مسموع على الحافظ أبي محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي الأندلسي المالكي (ت ٣٩٢هـ) الذي سمعه عن أبي زيد المروزي ، عن الفربري عن البخاري .

٣ - أصل الحافظ أبي القاسم ابن عساكر الدمشقي (ت ٥٧١هـ) .

٤ - أصل مسموع على مسند الآفاق الإمام أبي الوقت عبد الأول بن عيسى السجزي المالكي (ت ٥٥٣هـ) الذي سمعه من أبي الحسن عبد الرحمن ابن محمد الداودي (ت ٤٦٧هـ) عن أبي محمد الحموي السرخسي ، عن الفربري عن البخاري .

وذكر الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في تقدمته للطبعة السلطانية الثانية ، أن القسطلاني اعتمد على النسخة اليونينية هذه في شرحه المسمى إرشاد الساري ، وضبط الكتاب كلمة كلمة وحرفاً حرفاً ، وهذه خصيصة يختص بها هذا الشرح .

وقد عمل السهارنفوري عملاً متقناً في تكوين نسخته من البخاري ، إذ جمع إلى النسختين الشهيرتين المذكورتين آنفاً ، عدداً من الأصول الموثقة الأخرى ، واستعان بالشروح المعروفة كالعسقلاني والعيني والقسطلاني ، في إثبات الفروق بين الأصول المذكورة آنفاً ، زيادة أونقصاً ، أو اختلافاً في مبنى لفظة ، ورمز لكل نسخة بحرف يميزها عما سواها ، على نحو ما صنع الهروي من قبل في نسخته ، في تمييز الفروق بين أصولها الثلاثة ، ومثل ذلك فعل اليونيني في تمييز الفروق بين أصول نسخته .

وبهذا العمل الذي لا يصبر على مثله إلا الأفذاذ أخرج السهارنفوري نسخة للبخاري مصححة في غاية الإتقان والاعتناء ، ثم وشاها بحواش زادتها قيمة وشأناً عند أهل العلم ، فقد أتى فيها "بنكات عجيبة ، وفوائد ومباحث نادرة" كما قال المحقق في تقديمه .

وفي التعليق على تراجم الأبواب توجيهاً وإيضاحاً ، اعتمد على ما كتبه الإمام ولي الله الدهلوي في ذلك ، وضم إليه مصادر أخرى ذكرها في المقدمة ، تبلغ في عدتها خمسة وستين مصدراً ، بعضها عزيز نادر الوجود .

صدرت الطبعة الأحمدية الهندية لإمام الكتب في السنة ، في أواخر القرن الثالث عشر كما أسلفنا ، ومن يومئذ بقيت تجول في الآفاق ، وهي على صورتها الحجرية ، المنسقة في خطوطها على الطريقة الهندية ، حواشيها متداخلة ، وسطورها منمنمة ذات خطوط متقاربة قصار ، وعلى هوامش الصفحات

وطرزها عبارات معقوفة مستديرة ، وترى بين السطور عبارات وجيزة تفسيرية ، وكل ذلك مأتاه من الإضافات المتلاحقة المتعاقبة في أوقات مختلفة مع الحرص على إدراجها في مواضع مناسبة بقدر الإمكان .

ولا مرية في أن الكتب المنسقة على هذا النمط المتشابك ، غريب غير مألوف لأهل الزمان الحاضر ، بل ولا لأهل ذلك الزمان الغابر ، فلا يستطيعون قراءته إلا بمكابدة وشدة ، باستثناء أهل الهند الذين ألفوه وتمرسوا به ، ونزر يسير من ذوي الاهتمام بالتراث الإسلامي الهندي من الباحثين العرب الذين تدربوا رويداً رويداً ، حتى تمهروا بقراءتها دون كبير عناء .

وكان هذا بالأمس باعثاً حثيثاً لجهابذة تحقيق التراث والاعتناء به ، لإخراج هذا الكتاب الجليل في طبعة مناسبة للقراء العرب ، وقد أصبح اليوم شاهداً على مبلغ الجهد المبذول في تحقيق هذا الأمل ، وتجسيده في هذه الطبعة الأنيقة الجميلة الماثلة بين أيدينا ، الصادرة عن دار البشائر الإسلامية في بيروت ، وقد قربت البعيد ، وذللت الصعب ، وسهلت الوعر .

أعد مادتها وأخرج صورتها ، وأضاف إلى سالفتها الهندية من الزوائد والفوائد ، ما جعلها من الكنوز الفرائد ، الأستاذ الجليل الدكتور تقي الدين الندوي ، أحد علماء الحديث المبرزين في الهند وفرسان ميدانه ، تخرج في دار العلوم بندوة العلماء في لكنو ، وقرأ على فضلاء مشايخها ، من أمثال الشيخ حليم عطا السلوني (ت ١٣٧٤) ، ولازم العلامة محمد زكريا (ت ١٤٠٢هـ) فتعلم منه الكثير ثم صحبه وعمل معه في خدمة الحديث وشروحه ، تنقيحاً وتعليقاً ، وحسن إعداد لطباعتها ، واعتنى بكتاب التعليق الممجد على موطأ الإمام محمد لعبد الحي اللكنوي ، وكتاب بذل المجهود في شرح سنن أبي داؤد ، للشيخ خليل أحمد السهارنفوري ، وكتاب أوجز المسالك إلى مؤطأ الإمام مالك ، لشيخه محمد زكريا ، وحقق الزهد الكبير للإمام البيهقي في رسالة علمية نال بها الدكتوراة في الأزهر .

وعمل في تدريس الحديث وعلومه مدة طويلة ، في دار العلوم بندوة العلماء ، وفي مدرسة فلاح الدارين بتركيسر من ولاية كجرات في الهند ،

ومظاهر علوم بسهارنفور ، وغيرها من مراكز العلم في الهند ، ثم انتقل إلى جامعة العين في الإمارات العربية المتحدة ، أستاذاً لبعض المساقات في الحديث .

وهب أوقاته وجهوده للبحث والتأليف والتحقيق في هذا الميدان ، حتى صار أحد فرسانه : ورزقه الله عز وجل همة عالية ، وعزيمة ماضية لا تعرف الكلل ولا الملل وجلداً على البحث ومعاناة شدائده ، في زمن قصرت فيه الهمم ، وكثرت الدعاوي العريضة الزائفة ، وأخلد الناس إلى ما تيسر ولم يكن في تناوله كبير عناء .

ودونك اليوم هذه الحاشية النفيسة ، قد أخرجها لطلاب علم الحديث وأهله المشتغلين به ، ثمرتها طيبة يانعة ، وقطوفها دانية نافعة ، وطعمها سائغ مريئ ، بعد ما أمضى في إعدادها أكثر من عشر سنين ، يعضده ويسنده خبرة في البحث والتأليف والتحقيق ، نافت على خمسة عقود ، فكان خليقاً أن يذكر له هذا الجهد فيشكر ، وأن ينظر إليه بعين التقدير كل مشتغل بالسنة وعلومها .

كيف لا وقد أصدر لأصح كتاب في السنة ، نسخة مصححه ومنقحة بغاية الإتقان ، وسد بذلك حاجة الدارسين والمدرسين لهذا الكتاب الجليل ، وقد استعان في تصحيح البخاري على النسخة الصغانية ، التي هي حجر الزاوية في عمله هذا ، بما جمعه من نسخ البخاري الأخرى ، وفي مقدمتها النسخة السلطانية المنوه فيما تقدم من هذا البحث .

وتقصى الأصول التي اعتمد عليها السهارنفوري في مصادرها ومواردها ، فحصل على قدر كبير منها مخطوطها ومطبوعها ، ولك أن تتخيل ما في بلوغ ذلك من العناء وبالغ التكاليف ، وفي ذلك يقول : "ونحن بذلنا جهوداً جبارة للحصول على هذه المصادر المخطوطة من المكتبات ، وتحصلناها بحمد الله كلها ، إلا كتاب فيض الباري للشيخ عبد الأول الجونفوري ، الذي هو من مصادر كتاب "غاية التوضيح" وهو موجود عندنا" .

أجزل الله له المثوبة في الدار الباقية فيما أسلف من خير في هذه الدار الفانية ، وبارك في أعماله وأوقاته وفي ما بقي من عمره ، ورزقنا وإياه الإخلاص في النيات ، والتوفيق لخير المقاصد وأحسن الأمنيات .

فلسطين للعرب أم لليهود ؟

بقلم : الأستاذ نيسام ، سي
الباحث بالجامعة الملية الإسلامية دلهي (الهند)

فلسطين أرض مباركة ببعثة أنبياء عديدة في مختلف فترات التاريخ ، فقد قام إبراهيم عليه السلام برسالته في أرضها ، وتبعه إسحاق ويعقوب ويوسف وزكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام ، ممن ورد ذكرهم في القرآن ، وممن لم يذكرهم القرآن ، ومن القضايا التي أثارت اهتمام البشرية كافة منذ بداية القرن العشرين مشكلة تعيين الوارث الحقيقي لهذه البقعة المباركة ، وهذه المقالة محاولة بسيطة لدراسة هذه المشكلة على ضوء الحقائق التاريخية ، ويجدر هنا معرفة بعض الأمور المتعلقة بفلسطين قبل الخوض في صلب الموضوع .

الموقع الجغرافي لفلسطين :

تقع فلسطين غربي آسيا في الجنوب الغربي لبلاد الشام ، ويحدها من الغرب البحر المتوسط ومن الشرق سوريا ونهر الأردن والبحر الميت ، ومن الشمال لبنان ، ومن الجنوب رأس خليج العقبة ، ومن الجنوب الغربي صحراء سيناء .

يمكن تقسيم فلسطين إلى ثلاث مناطق على أساس طبيعة أرضها ، وهي السهل الساحلي ، والمرتفعات الجبلية الوسطى ، والأخدود الأردني ، يتركز أغلب سكانها في السهل الساحلي حيث تقع الموانئ ومراكز التجارة وتجري النشاطات الاقتصادية والزراعية ، وأما المرتفعات الجبلية الوسطى ، فهي تشتمل على جبال الجليل ونابلس والخليل وهضبة النقب ، ويسكن هذه المنطقة الفلاح الفلسطيني ويزرعها بالحبوب والفواكه والخضار ويرعى الماشية أيضاً تتضمن المنطقة الثالثة ، وهي الأخدود الأردني ، طريق نهر الأردن حتى يصل إلى البحر الميت (١) .

(١) محمد صالح ، محسن ، القضية الفلسطينية خلفياتها وتطوراتها حتى سنة ٢٠٠١ ط-١ مصر : مركز الإعلام العربي ، ٢٠٠٢ ص/١٥ ، ١٤ .

لماذا تحظى فلسطين بالاهتمام :

ليست فلسطين منطقة غنية بالثروات المعدنية ولا تتمتع بمرتبة رفيعه بين دول المنطقة في الإنتاج الزراعي ، ومن حيث المساحة أيضاً ، فإنها تقف وراء دول عديدة في المنطقة على الرغم من كل هذه الأمور قد فتحت فلسطين شهية الدول الاستعمارية في القديم والحديث لموقعها الاستراتيجي بين دول العالم ، فأهميتها ترجع إلى موقعها الفريد إذ تقع فلسطين حلقة وصل بين ثلاث قارات كبرى في العالم وهي آسيا وإفريقيا وأوربا ، وتتصل بالمحيط الأطلسي والمحيط الهندي عن طريق البحر المتوسط والبحر الأحمر ، وتجاورها أربع دول عربية وهي لبنان وسوريا والأردن ومصر .

فلسطين للفلسطينيين :

عند ما نقول إن فلسطين للفلسطينيين ، لا تعني كلمة فلسطيني ، يهودياً ولا عربياً ، ولكن هي قاعدة عامة يعترف بها الإنسان كما تكون الهند للهندي والصين للصيني وهولندا للهولندي ، والذي يهمنا هنا هذا دراسة من هو الفلسطيني ؟ هل هو عربي أم هو يهودي صهيوني

سكان فلسطين القديمة :

من الصعب تحديد الزمن الذي بدأت فيه الحياة البشرية في فلسطين ، تشير الآثار بأن الإنسان قد سكن فلسطين منذ العصر الحجري القديم ، ولكن ليس هناك أي سبيل لمعرفة أصلهم وموطنهم الأول ، هكذا ، قد وجدت أشكال حياة حضارية في العصر الحجري الوسيط في وادي النطوف قرب الرملة ، عُرفت بالحضارة النطوفية ، ومثل السابقين ، لا نعرف من كان النطوفيون ؟ ومن أين جاءوا إلى فلسطين (٢) ؟

كان العصر الحجري الحديث زمن الثورة الزراعية حيث بدأ الناس يبنون البيوت قرب مزار عهم حتى تكونت عدة قرى في هذا العصر ، وتشير الآثار إلى أن أول مدينة وجدت على وجه الأرض كانت في نفس الفترة ،

(٢) الموسوعة الفلسطينية ، ط-١ ، ج/١ ، دمشق هيئة الموسوعة الفلسطينية ، ١٩٨٤ ، ص/١٤ ، ١٣ .

وهي مدينة أريحا ، لم تكن أريحا مدينة في معناها الكامل ، بل هي تدل على أن الإنسان بدأ الاستيطان في الدور والمباني بعد أن كان يرتحل من مكان لآخر طالباً الماء والمرعى (٣) ، وأما بالنسبة إلى تاريخ هؤلاء البشر لا تعطينا الآثار تفاصيله ، فلا سبيل إلى معرفة من كان يسكن هذه الدور والمباني ؟ ومن أين استوطنوا هذه المدينة ؟

كان أول شعب استوطن فلسطين في التاريخ المعروف جماعات مهاجرة من شبه الجزيرة العربية ، هاجرت هذه الجماعات ، بعد أن أصابها القحط ، من شبه الجزيرة العربية إلى الشمال وانتشرت في بلاد الشام والعراق ومصر ، استقر الفينيقيون منهم على شاطئ البحر المتوسط في الألف الثالث قبل الميلاد ، واستوطن الكنعانيون المنطقة التي تقع بين ضفة الأردن الغربية وبين البحر المتوسط تقريباً في ٢٥٠٠ ق م وعرفت هذه المنطقة بأرض كنعان نسبة إليهم ، وأما اليبوسيون – فرع من الكنعانيين – اختاروا منطقة قدس مستقراً لهم (٤) .

كيف جاء اسم فلسطين على أرض كنعان ؟ :

تسمية أرض كنعان بفلسطين كانت نسبة إلى أقوام بحرية قدموا من جزر البحر المتوسط ، خاصة جزيرة "كريت" (أقريطش) هاجم هؤلاء البشر شواطئ الشام ومصر حيث صدهم فرعون مصر "رمسيس الثالث" في معركة "لوزين" التي حدثت في مصر ، وأمرهم أن يسكنوا جنوب فلسطين في مناطق تسمي "بلست" ، ونسبة إلى هذه المنطقة سمي هؤلاء المستوطنون "البلستينيين" وبدأت منطقة "بلست" تعرف باسم "بلستين" ثم أصبحت فلسطيم بعد تبديل الأحرف ، امتزج البلستينيون بالكنعانيين واليبوسيين واختلطت أنسابهم ولغاتهم حتى لم يبق لهم أثر مميز سوى أنهم أعطوا الأرض اسمهم (٥) .

(٣) المصدر السابق ، ص/١٥ السويدان ، طارق ، فلسطين ، التاريخ المصور ، شركة الإبداع الفكري ، ٢٠٠٤ ، ص/٢٤ . (٤) حلة محمد علي ، القدس الشريف حقائق التاريخ وآفاق المستقبل ، الإدارة العامة للدعوة والتعليم ، ٢٠٠٤ ، ص/٩ السويدان ، طارق ، نفس المصدر ، ص/٢٥ .
(٥) شلبي ، أحمد ، مقارنة الأديان اليهودية ، ط ٥ ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٨ ، ص/٤٣ ، السويدان ، طارق ، نفس المصدر ، ص/٢٦ .

الكنعانيون هم الفلسطينيون :

ومما ذكرنا سابقاً من تارخ سكان هذه البقعة المباركة تبين لنا أن الكنعانيين والوافدين من جزيرة "كريت" الذين امتزجوا بالكنعانيين هم الفلسطينيون الحقيقيون ولهم فقط حق البقاء والإقامة في أرضها ، لم يكن استيطان الكنعانيين والجماعات المهاجرة من جزر البحر المتوسط بإبادة سكان فلسطين القدامى ، بل عاشوا معهم واختلطوا حتى ذاب الجميع في الكنعانيين وشيدوا حضارة جديدة بالأخذ والعطاء فيما بينهم .

صلة اليهود بفلسطين :

دراسة صلة اليهود بفلسطين تتطلب منا معرفة أصل اليهود وتاريخهم ، فكانت كلمة اليهود تستعمل في البداية للدلالة على بني إسرائيل ، فإن التاريخ دليل على أن من استعمل هذه الكلمة هم الفرس حيث كانوا يسمون بني إسرائيل الموجودين في العراق ، بعد أن دمر بختنصر مدينة أورشليم وأخذ أغلب سكانها أسرى إلى بابل ، يهوداً ويطلقون على عقيدتهم اسم اليهودية (٦) ، فكانت هذه العقيدة مختلفة من عقيدة التوحيد التي جاء بها موسى عليه السلام إذ قامو بتبديلات وتحريفات في شريعة موسى عليه السلام ، وأصبحت هذه الكلمة تدل فيما بعد على من اعتنق العقيدة اليهودية سواء كان من بني إسرائيل أو من غيرهم ، ولا يمكن تسمية بني إسرائيل كافة باليهود ، فإنه كان فيهم من لا يعترف بعقيدة اليهود المحرفة ، حيث آمن بعضهم برسالة عيسى عليه السلام ، وقامت طائفة منهم مع المسلمين عند بعثة محمد ﷺ .

بنو إسرائيل وفلسطين :

هاجر إبراهيم عليه السلام مع أهله من أور الكلدانيين إلى أرض كنعان حوالي سنة ٢٠٠٠ ق. م ، ومنها توجه إلى مصر بعد أن وقعت في قبضة القحط ، ولكنه اضطر لمغادرتها حين رغب فرعون مصر في زوجته سارة ،

(٦) مظهر ، سليمان ، قصة العقائد ، ص/٣١٨ نقلاً من "مقارنة الأديان اليهودية" للدكتور أحمد شلبي ، ط ٥ ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٩ ، ص/٥٦ .

وكان من فضل الله أن رزق الله إبراهيم عليه السلام ولدين ، أولهما إسماعيل عليه السلام – من هاجر – الذي نشأ في مكة ، وثانيهما إسحاق عليه السلام – من سارة – الذي نشأ في فلسطين ، ومثل إبراهيم عليه السلام ، بارك الله إسحاق عليه السلام بولدين ، هما عيسى ويعقوب عليه السلام الذي عرف بإسرائيل وينسب إليه بنو إسرائيل ، أنجب يعقوب عليه السلام من أربع زوجاته اثني عشر ولداً وأصبحوا فيما بعد اثني عشر سبطاً (٧) .

بعد أن تولى يوسف عليه السلام – ابن يعقوب عليه السلام من زوجته راحيل – خزانة الطعام في مصر استقدم أهله وأسكنهم في أرض جاسان الخصبة (٨) ، هكذا بدأ يعقوب عليه السلام وبنوه حياة ممتازة في مصر تحت ظل رعاية فرعون الخاصة ، كانت فراعنة مصر آنذاك من الهكسوس الأجانب الذين مارسوا سياسة الاضطهاد نحو السكان الأصليين وسياسة التكريم نحو الوافدين الأجانب ، ولما غلب المواطنون الأصليون على الهكسوس طردوهم خارج البلاد وبدأوا يضطهدون بني إسرائيل الذين كانوا يتعاونون مع عدوهم ويتمتعون بأطيب خيرات مصر (٩) .

وفي هذه الفترة كانت بعثة موسى عليه السلام في مصر حيث كرمه الله برساته وأزره بأخيه هارون عليه السلام (١٠) قام موسى وهارون عليهما السلام بدعوة فرعون إلى الله وطلبا منه بإرسال بني إسرائيل معهما ، ولكن فرعون لفرط العناد والطغيان كفر برسالتهما ورفض أن يرسل معهما بني إسرائيل (١١) ، ثم أمر الله موسى عليه السلام بالخروج من مصر مع بني إسرائيل ، بيد أن فرعون أتبعهم بجنوده وهلك هو وجنوده أثناء عبور البحر ونجى موسى عليه

(٧) شلبي ، أحمد ، نفس المصدر ، ص/٥٠ – ٦٠ .

(٨) قصة يوسف عليه السلام قد جاءت بالتفصيل في القرآن في سورة يوسف .

(٩) شلبي ، أحمد ، نفس المصدر ، ص/٦٠ – ٦٢ .

(١٠) سورة القصص الآية/٣٧ – ٣٦ .

(١١) سورة الشعراء الآية/١٥ – ١٧ .

السلام وقومه من اعتداءاته (١٢) ، وبعد النجاة من شر فرعون وصل موسى عليه السلام بقومه إلى صحراء سيناء حيث أنعم الله عليهم بنعمه ، ففجر لهم اثنتي عشر عينا شرباً وأنزل المن والسلوى طعاماً وظلل الغمائم وقاية (١٣) ، ومن هذه الصحراء ذهب موسى عليه السلام إلى جبل الطور ليتلقى رسالة ربه وقضى هناك أربعين ليلة (١٤) ، وكانت عبادة بني إسرائيل لعجل السامري أثناء هذه الأيام ، ولما رجع موسى برسالة ربه وجد قومه منهمكين في الشرك فغضب عليهم غضباً شديداً وطلب منهم أن يستغفروا الله لما بدر منهم من الشرك والكفر فغفر الله لعباده إنه هو الغفور الرحيم (١٥) .

بنو إسرائيل في التيه :

توجه موسى عليه السلام مع بني إسرائيل إلى فلسطين وأمرهم بدخولها إذ وقف سكان فلسطين سدا منيعاً أمامهم ، فكان لبني إسرائيل أن يحاربوا سكانها ليتمكنوا من الدخول فيها ، ما أشد عناد بني إسرائيل ، إذ رفضوا أمر موسى عليه السلام بدخول فلسطين وقالوا إنهم لن يدخلوا فيها ما دام هؤلاء الناس موجودين فيها وأضافوا لفرط عصيانهم **﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾** (سورة المائدة الآية/٢٤) فحكم الله عليهم أربعين سنة من التيه قال **﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾** (سورة المائدة الآية/٢٩) يقول الدكتور أحمد شلبي بأن أكثر الباحثين يرون أن التيه هو الذي حدد بأربعين سنة أما التحريم أبدي أي لا يكون لبني إسرائيل استقرار في أرض فلسطين (١٦) وأثناء التيه توفي موسى وهارون عليهما السلام ، وبعث الله يوشع بن نون ، أحد أصفياء موسى عليه السلام والمذكور في القرآن باسم فتى موسى ، نبياً لبني إسرائيل .

(١٢) سورة الدخان الآية/٢٣ – ٢٤ .

(١٣) سورة البقرة الآية/٥٧ و ٦٠ .

(١٤) سورة الأعراف الآية/١٤٢ .

(١٥) سورة البقرة الآية/٥٤ .

(١٦) شلبي ، أحمد ، نفس المصدر ، ص/٧٣ .

بنو إسرائيل في فلسطين :

بعد مضى أربعين سنة قاد يوشع بن نون بني إسرائيل إلى الشمال ونزل بهم شرقي نهر الأردن وبدأ يستعد لمواجهة شعب فلسطين (١٧) ، وفي سنة ١١٨٦ ق. م عبر بهم يوشع نهر الأردن واستولى على مدينة أريحا بعد أن هزم جبابرة الكنعانيين وتمكن من السيطرة على مدن أخرى حيث قسمها بين اثني عشر سبطاً (١٨) ، وبوفاة يوشع بدأ عهد القضاة في بني إسرائيل وأصبح زمام الأمر بأيديهم ، ولكن فساد حكمهم وأكلهم أموال الناس بالباطل وكثرة حملات الفلسطينيين عليهم ، دفعتهم إلى التفكير على أنهم بحاجة ماسة إلى ملك يوحد صفوفهم ويدرع عنهم شوك الأعداء ، فطلبوا من نبيهم صموئيل أن يجعل لهم ملكاً إذ من الله عليهم وعين لهم طالوت ملكاً وزاده بسطة في علمه وجسمه (١٩) ، وبتعيين طالوت ملكاً دخل بنو إسرائيل أرقى عهد في تاريخهم ، يعرف هذا العهد بعهد الملوك حيث تأسست المملكة الأولى لبني إسرائيل على وجه الأرض ، وكان أعظم ملوكها داود وسليمان عليهما السلام ووصلت المملكة في عهدهما قمة مجدها ، كانت فترة حكمهما نحو ثمانين عاماً ، وذلك تقريباً من ١٠٠٤ ق. م إلى ٩٢٣ ق. م. وأما من حيث المساحة ، فلم تكن هذه المملكة تشتمل على معظم مناطق فلسطين حتى في أوج قوتها إذ بقيت المنطقة الساحلية في أيدي الفلسطينيين (٢٠) .

وبعد هذه الفترة الزاهرة انقسمت مملكة بني إسرائيل إلى دولتين ، فتكونت في الجنوب مملكة يهوذا تحت قيادة رحبعام ابن سليمان عليه السلام وأيده سبطا يهوذا وبنيامين ، وقامت مملكة إسرائيل في الشمال بأيدي يربعام

(١٧) المصدر السابق ، ص/٧٣ .(١٨) السويدان ، طارق ، نفس المصدر ص/٣٤ عبد الرحمن قدح ، موجز تاريخ اليهود والرد على بعض مزاعمهم الباطلة مجلة الجامعة الإسلامية (المدينة المنورة) ، ع/١٠٧ ، ص/٢٥٣ . (١٩) شلبي ، أحمد ، نفس المصدر ص/٧٧ – ٧٨ سورة البقرة الآية/٢٤٦ و ٢٤٧ .
(٢٠) محمد صالح ، محسن ، نفس المصدر ص/٢٠ .

ابن نباط وبايعه الأسباط العشرة الباقية (٢١) ، كانت مملكة الشمال أقل حظاً للبقاء حيث تم القضاء عليها بأيدي الإمبراطور الأشوري سرجون الثاني عام ٧٢٢ ق. م وأخذ سكانها إلى بلدان مختلفة ، سقطت مملكة يهوذا الجنوبية عام ٥٨٦/ق. م. على أيدي البابليين الذين هجموا فلسطين تحت قيادة بختنصر ودمروا مدينة أورشيلم (القدس) بما فيها من معبد سليمان وأسوارها ومنازلها ، وأخذوا أغلب بني إسرائيل أسرى إلى بابل ، وعرفت هذه الحادثة في التاريخ بالأسر البابلي ، وبهذا التدمير انتهى ملك بني إسرائيل الممتد نحو أربعة قرون وربع في أرض فلسطين (١٠٠٤ ق. م – ٥٨٦ ق. م) (٢٢) .

لم يستطيع بنو إسرائيل أن يعيدوا قوتهم السياسية في أرض فلسطين بعد الأسر البابلي إلا أنهم قد تمكنوا من الدخول فيها وممارسة نوع من الحكم الذاتي في مختلف فترات التاريخ ، وكان هذا الحكم الذاتي تابعاً للإمبراطوريات التي تسيطر على هذه المنطقة ويدفع الخراج لها ، قد تمتع اليهود بهذا النوع من الحكم تحت الإمبراطورية الفارسية وفي زمن السلوقيين الإغريق الذين حاولوا إبعاد اليهود عن دينهم فقاوم اليهود هذه المحاولة وحققوا بعض الانتصارات ، وفي بعض فترات الحكم الروماني أيضاً ، وفي جانب آخر قد أصدر الامبراطور الروماني هدريان قراراً نحو عام ١٣٥ بمنع اليهود من دخول القدس واستمر هذا المنع لمائتي سنة ، ولما فتح المسلمون فلسطين في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه جدد منع اليهود من دخول القدس في عهده المعروف بالعهدة العمرية للنصارى (٢٣) .

فلسطين من حق العرب :

ومما ذكرنا من تاريخ فلسطين وبني إسرائيل أصبح الأمر واضحاً

(٢١) شلبي ، أحمد ، مقارنة الأديان اليهودية ، ط ٨ القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ١٩٨٨ ص/٨١ .
(٢٢) محمد صالح ، محسن ، نفس المصدر ص/٢١ .
(٢٣) شلبي ، أحمد ، نفس المصدر ط ٨ ص/٨٤ .

وضوح النهار بأن الكنعانيين العرب قد سبقوا بني إسرائيل في استيطان فلسطين تقريباً خمسة عشر قرناً ، ولم يكن هذا الاستيطان بإبادة سكانها مثلما فعله بنو إسرائيل حين فتحوا مدينة أريحا (٢٤) ، وقد عاش الكنعانيون مع السكان الأصليين حتى ذاب أهل تلك البلاد في الكنعانيين ، ومنذ أن استوطن الكنعانيون أرض فلسطين نحو ٢٥٠٠ ق. م لم يرتحلوا عنها أبداً حتى اليوم ، فعلاقتهم بهذه الأرض المباركة علاقة متواصلة لأربعة آلاف وخمسمائة سنة بينما كانت صلة اليهود بها صلة متقطعة بداية من وصولهم فيها نحو عام ١١٨٦ ق. م كما ورد أثناء ذكر تاريخهم ، وقد أخرجوا من أرضها ومنعوا من الدخول فيها في مختلف فترات التاريخ ، وإذا أخذنا بعين الاعتبار مدة السلطان على أرض فلسطين ، نجد أن فترة حكم بني إسرائيل عليها – ليس على كل فلسطين – منذ زمن ملكهم الأول طالوت (شاؤول) إلى أن تسقط المملكة الجنوبية يهوذا على أيدي البابليين عام ٥٨٦ ق. م لا تزيد عن أربعة قرون ونصف بينما حكم العرب المسلمون فلسطين نحو ١٢٠٠ سنة منذ أن فتحوها عام ٦٣٧م إلى أن احتلها البريطانيون عام ١٩١٧م إلا ٨٨ عاماً خلال فترة الحروب الصليبية (١٠٩٩-١١٨٧) ، فحكم المسلمين أطول فترة تاريخية مقارنة بأي حكم آخر (٢٥) ، وإذا كان حكم العرب يغطي جميع مناطق فلسطين ، لم يتمكن بنو إسرائيل من السيطرة على فلسطين كلها حتى في عصرهم الذهبي خلال حكم داوود وسليمان عليهما السلام ، فبقيت المناطق الساحلية في أيدي الفسلطينيين ، لذا ، ادعاء اليهود بحقهم التاريخي للعودة إلى أرض فلسطين باطل على ضوء هذه الحقائق التاريخية .

والآن ، نتطرق إلى مزاعم اليهود الدينية بحقهم للعودة إلى فلسطين ،

(٢٤) محمد صالح ، محسن ، نفس المصدر ، ص/٢٢ – ٢٤ .

(٢٥) شلبي ، أحمد ، نفس المصدر ، ط ٥ ص/٧٣ .

يدعي اليهود بأن الله وعدهم بهذه الأرض المباركة عن طريق إبراهيم عليه السلام ، وقد جاء هذا الوعد لإبراهيم عليه السلام حسبما يذكر سفر التكوين عند وصوله إلى أرض كنعان وحين رجوعه من مصر إليها وبعد ولادة إسماعيل عليه السلام ، فالوعد الإلهي على هذا الأساس من حق إسماعيل ، جد العرب والمسلمين (٢٦) وفوق ذلك ، وعد الله إبراهيم عليه السلام وأبناءه بهذه المنطقة ومكنهم فيها عند ما رفعوا راية التوحيد وقاموا بدعوة الدين الإلهي ، ولما ضلوا وعصو أمر الرسل فقدوا هذه الشرعية وبعث الله قوماً آخر ، هم العرب ، لرفع راية التوحيد حيث مكنهم في فلسطين ، لأنهم الورثة الحقيقيون لرسالة إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ، والملاحظ هنا ، أن اليهود الذين يدعون أنفسهم أتباع موسى عليه السلام ويتبعون رسالة التوراة لماذا ينسبون دينهم إلى فلسطين بينما لم يطأ موسى عليه السلام أرض فلسطين ولو مرة في حياته ، فليس هناك أي علاقة روحية ودينية تربط بني إسرائيل بفلسطين (٢٧) ، ومن جهة أخرى ، فإن وعد الله حسبما يقول اليهود موجه لبني إسرائيل ، فما حق يهود اليوم في هذا الوعد إذ لا يشكل سلالة بني إسرائيل إلا أقل من ٢٠% من يهود اليوم ، ويرجع أصل أغلبية اليهود إلى الخزر الذين استوطنوا منطقة شمال القوقاز من مناطق تركيا القديمة وتهودوا مع ملكهم في ٧٤٠م وانتشروا في روسيا وشرق أوربا حين سقط ملكهم ، ولكل شعب حق للتمسك بعقيدته ، ولكن من الظلم والجور أن يلزموا الآخرين بعقيدتهم ، وأن يشردوا شعباً من أرضه وبيته باسم العقيدة (٢٨) .

(٢٦) عبد الرحمن قدح ، محمود ، نفس المصدر ، ص/٢٨٩ .

(٢٧) حلة ، محمد علي ، القدس الشريف حقائق التاريخ وآفاق المستقبل ، الإدارة العامة للدعوة والتعليم ، ٢٠٠٤ ص/١٥

(٢٨) محمد صالح محسن ، نفس المصدر ، ص/٣٢ و ٣٤ .

صور وأوضاع :

تأثير الحركات السياسية على الحركات الإسلامية

بقلم : محمد واضح رشيد الحسني الندوي

تختار الدعوات والحركات والمذاهب المعاصرة لكسب أنصارها وتحقيق أهدافها المنشودة وسائل متنوعة؛أهمها كسب التأثير العام بالدعاية،والهجوم على منافسيها كلامياً، وهي أكثر الوسائل انتشاراً، وأكثرها نفعاً، لتأييد حركة،أو معارضة حركة أخرى، وتسعى لذلك إلى الحصول على خدمات أصحاب الأقلام والخطابة،لأن القلم واللسان وسيلتان مؤثرتان للاقناع العقلي،أو تحبيب الانتساب إلى نظرية أو عقيدة،أو مبدأ يختلف عن عقيدة أخرى، أو مبدأ آخر، وتحصل هذه الصلاحيات بدون صعوبة لهذا الغرض،للكسب المادي الذي يحصل بتأييد مذهب،أو سياسة نظام، ومعارضة غيره من المذاهب والنظم، فيبحث أصحاب المطامع والمطامح المادية في بعض الأمور عن الموارد والمكاسب من مختلف الجهات، وينتهزون فرصة صدام بين فرق مختلفة، بعرض خدماتهم، أوتسخير صلاحياتهم .

نال القلم واللسان في هذا العصر أهمية أكثر من أهمية السيف؛ لأن القلم واللسان أبلغ أثراً من السيف، ويصلان حيث لا يصل إليه السيف، فأصبحت الدعاية اليوم مهنة كاسبة، وتعتمد المذاهب والأفكار والنظم المعاصرة عليها، أكثر مما تعتمد على تنقيح الأفكار وتهذيبها، وتحقيق أهدافها، وتأمين سلامة شعوبها، وتربية أبنائها، فتحتاج إلى من يتقن مهنة الدعاية لمكافحة دعاية غيرها .

وبالإضافة إلى الدعاية ثَمَّ وسيلة أخرى، تلجأ إليها الحركات والنظم المعاصرة لتسترعي الانتباه، وتفرض وجودها ، وهي الاختطاف والاغتيال، يكونان عملياً وفكرياً، وهما مشاهدان اليوم كلاهما في مختلف أنحاء العالم، وهما وسيلتان تتخذهما العناصر المتطرفة للغلبة على المعارضين، أو الضغط على مطالبهم .

أما الاختطاف العملي فهو معروف، والاختطاف الفكري هو نقل إنسان من آرائه وأفكاره وتصوراته إلى آراء وأفكار أخرى، بإغراء مالي، أو بتهديد جسماني ، أو بغسل الدماغ، كما يقول التعبير المعاصر، وتحدث هذه

العملية كثيراً حينما يتحول مفكر أو قائد في أيام قليلة إلى أفكار معارضة، ويتبناها بقوة، كما كان يتبنى أفكاراً أخرى في السابق، وهذا العمل هو عمل الاختطاف الفكري ، وتشاهد مثل هذه القفزات الفكرية أو التحويلات الفكرية في كل من يغريه مال، أو لافت مادي آخر.

ويحدث ذلك في النظم الديمقراطية حيث يغير أعضاء حزب ولاءهم لحق حزب آخر، رغم الخلافات في المبادئ والمناهج.

وينقسم الاغتيال إلى سياسي وطبيعي ، الاغتيال الطبيعي هو التصفية الجسدية ، والاغتيال السياسي هو تشويه الشخصية،وتلويثها بطريق تنكشف به الملامح الشخصية الأصيلة، ويتحقق ذلك أيضاً عن طريق منصب كبير، أو مسئولية كبرى تفوض إلى تلك الشخصية الكبيرة، أو بإشراكها في وزارة، أو منحها عضوية في البرلمان، أو رئاسة لهيئة، أومنظمة ذات أهمية، ويشاهد حدوث مثل هذه التحولات في شخصية سياسية في السياسة المعاصرة في النظم الديمقراطية .

يواجه الاختطاف بأي نوع من النوعين، والاغتيال السياسي والطبيعي، من يحمل أفكاراً وعقائد خاصة، ويتمسك بها ويعض عليها بالنواجذ ، أما التجارة والاحتراف بالأفكار فيتعرض لهما من لا يحمل أفكاراً ثابتة، بل ينتقل من أفكار إلى أفكار، ومن عدو إلى صديق، ومن مدافع إلى محارب، باعتبار المصالح ، و الفكر المادي، ويكتسب أصحاب هذا الفكر من جميع المصادر، وتتضخم مواردهم لكونهم بمثابة الوكلاء ، والسماسرة، ويتوفر عدد السماسرة في هذا العصر، وبتوافرهم أصبح العلم والثقافة والقدرة الكتابية والبيانية وسيلة فعالة للكسب في هذه الأيام .

وإذا وجد هذا الاتجاه في الماديين والعلمانيين والإباحيين ، فهو شيء عادي ، ولا يتوقع من هؤلاء المحترفين والمتكسبين شيء آخر، ويوجد أمثالهم في كل عصر ومصر وخاصة في هذا العصر؛لأن السياسة المعاصرة تقوم على الانتهازية التي تحمل الأهداف فيها الأولوية، وهي المقصودة، أما الوسائل فهي خادمة لها، وكل وسيلة تؤدي إلى الأهداف وسيلة نافعة، ومعقولة، وهذه هي الطريقة المتبعة في السياسة المعاصرة وتقلدها الأحزاب السياسية .

أما ما يستغرب، فهو تأرجح رجال الفكر والمبادئ والدعوات أو الحركات الإصلاحية ورجال الإرشاد الديني وميلهم إلى الدعاية الكاذبة، وإثارة العصبيات، واختطاف شخصيات أو اغتيال الشخصيات التي لا تخضع لفكرتهم

سياسياً وفكرياً، وتشويه سمعة القادة للأحزاب والحركات الأخرى، أو وقوعهم أنفسهم فريسة الدعاية الكاذبة،أو الإغراء المادي وانصرافهم إلى عمل يقوم على التفكير المادي، بدون تحفظ خلقي لتحقيق الغايات، فإنه اتجاه لا تقبله التعاليم الدينية، ولا يأتي بنتائج إيجابية، ولا يقيم سرحاً دينياً ولا إسلامياً، فإن الغايات التي يعتقد قادة الحركات الإصلاحية أنهم يحققونها باحتواء فكرتهم، أو فرض شخصيتهم، لا يتحقق بهذا الطريق ، بدون إلحاق الضرر بالفكر الديني، لأن هذا الطريق يؤدي إلى إثارة الشحناء والبغضاء، ويحدث الاضطراب الفكري، والصراع، ويزيح الثقة في القيادات بصفة عامة، ويبث الشكوك والشبهات في أذهان المسلمين عن طبيعة العمل، وتفقد بذلك الحركات الإسلامية أثرها ونفوذها.

لقد عم أخيراً هذا الاتجاه الخطير، بمحاكاة الحركات والأفكار والدعوات المادية ومناهجها، ومناهج قادتها في الحركات والدعوات الإصلاحية التي تدعو إلى إصلاح النفوس ، وإصلاح الأوضاع ، وصرف الناس عن المادية إلى الروحانية، ويقبل قادتها على الوسائل المادية ، وتكديسها، وعلى النفسية المحاربة والدعائية، وحشد وسائلها، وتصعيد العصبيات الحزبية الضيقة ورفض كل ما يجري في خارجها من حركة وعمل ودعوة ، ونفي أي خير في قادة الحركات الأخرى، وإشاعة مطاعن، وإثارة شبهات في أعمالها بدون تحقيق أو دليل، فيصير كل عامل متهماً ومشوهاً، وبذلك يهدم فريق ما يبنيه الآخر، ويحدث بذلك صراع فكري، ويتخذ بعض المتشددين موقفاً ليس معارضاً لفريق آخر؛ بل موقف محارب، وينتقل هذا الاتجاه في عمل وحركة إلى كتابة وخطابة يعتدي فيها الكاتب أو الخطيب على صاحب فكر آخر ويتهجم عليه،فتحار بذلك الجماهير المسلمة ومن يقبل الإسلام .

إنه عمل لا يليق بطبيعة العمل الإسلامي، بل بطبيعة العمل الإصلاحي، ولا يبني هذا العمل؛ بل يهدم وينقض؛ لأن العمل الإسلامي يعتصم بحبل الله ، وبأجر الآخرة ، وبرضى الله، والتمسك بنهج السلف الصالح ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (سورة التوبة : الآية/١٠٥) ، ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى، وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ، ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾ (سورة النجم : الآيتان/٣٩-٤٠) أما الحركات المادية فإنها تعتصم بحبل الناس، وبالأجر المادي، وبالغلبة، والبروز في أعين الناس .

من كنوز القرآن الكريم :

مفردات القرآن للعلامة السيد سليمان الندوي

(١٨٨٤-١٩٥٣م)

(٤٩)

بقلم : محمد فرمان الندوي

تحريم الخمر :

كان العرب قبل الإسلام مولعين بشرب الخمر ، وقد طفحت أشعارهم بذكرها ، رغم أن الباحثين اتفقوا على أن مخترع الخمر كان جمشيد ملك العجم ، ولا يوجد نص على حرمة الخمر في التوراة ، بل تدل نصوصه على أن الخمر كانت حلالاً ، وكان الناس يشربونها بوجه عام ، وقد ورد في سفر التكوين الباب (٩) والدرس : ٢٠ و ٢١ : "أن نوحاً عليه السلام كان يزارع العنب ، ومرّةً شرب الخمر فأغمي عليه" ، وكذلك الإنجيل لا يخبر شيئاً عن حرمة الخمر إلا إشارات إلى عدم جودة شربها ، فعلم منه أن شرب الخمر كان في أول أمرها حلالاً ، ثم صار استعمالها في العهد الوسط للنبوة خلافاً للأولى ، ولما نزل القرآن الذي جاء لإكمال الدين وشريعة الله في العالم قضى قضاءً مبرماً عن الخمر ، فحرمها تحريماً قاطعاً .

فليس شرب الخمر حراماً في الإسلام فحسب ، بل هو مضاد للفطرة ، وجاء في الجامع الصحيح للبخاري : عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما أن نبي الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسري به (في حديث طويل) قال : ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل ، فأخذت اللبن ، فقال جبرئيل : هي الفطرة أنت عليه وأمتك (والفطرة ، أي أصل الخلقة التي يكون عليها كل مولود ، إذ يكون اللبن ما يدخل جوفه ويشق أمعاءه)

(رقم الحديث : ٣٦٧٤ باب المعراج ، كتاب فضائل الصحابة) .

فكما أن الإسلام وأحكامه فطرية ، كذلك كان أسلوب تعليمه يتفق

وطبيعة الإنسان ، فقد تدرج في الأمر بتحريم الخمر أمام أتباعه ، بحيث يمكن نبذ عادتهم القديمة المتغلغلة في أحشاء قلوبهم رويداً رويداً ، فأول آية نزلت في هذا الشأن حسب تساؤل الصحابة رضي الله عنهم هي ما قال الله عز وجل : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنْ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ (سورة البقرة الاية/٢٢٠) فلم يأمر الله بتحريم الخمر واضحاً ، بل أخبر المسلمين بأن في الخمر منافع ومضار أيضاً ، لكن جانب المضرة كثير من المنفعة ، فتدل الآية على ثلاثة أمور : ١- في الخمر منافع كثيرة ٢- وفيها مضار أيضاً ٣- جانب المضرة أكثر من جانب المنفعة ، هذه الأمور الثلاثة تدل عليها العلوم الطبيعية والدراسات الحديثة ، لا شك أن النشاط والحرارة تزداد في أعضاء البدن من شرب الخمر ، وخاصة في الغرائز ، لكن تصاب القوى الدماغية والبدنية بصدمة شديدة ، وبما أن هذه الآية لم تذكر تحريم الخمر بصراحة ، ترك بعض الصحابة شرب الخمر ، وباشره بعض منهم ، ثم حدث حادث أن دعا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه عدة رجال إلى مأدبة وكان فيها الخمر ، فلما شربوا الخمر وقاموا إلى الصلاة ، قرأ الإمام فيها سورة الكافرون ، وغيَّر آية منها ففسد المعنى ، هنالك نزلت آية أخرى في الخمر على رسول الله ﷺ ، قال الله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَاتَقُولُونَ﴾ (سورة النساء الآية/٤٣) تدل الآية على أن شرب الخمر في أوقات الصلاة محظور في الشريعة الإسلامية ، فعن علي رضي الله عنه : أن رجلاً من الأنصار دعاه وعبد الرحمن بن عوف ، فسقاهما قبل أن يحرم الخمر ، فأمهم علي في المغرب ، وقرأ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ ، فخلط فيها ، فنـــزلت : ﴿لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ (السنن الكبرى للبيهقي ، باب صفة أقل المسكر ج/١ ص/٣٨٩) ثم دعا عتبان بن مالك عدداً من أصدقائه مثل سعد بن أبي وقاص إلى طعام ، فلما شربوا الخمر وأغمي عليهم بدأوا الفخار القومي الذي أدى بهم إلى مقاتلة ومحاربة ، فأنزل الله تعالى

تحريم الخمر بتاتاً في الآية الآتية : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنْ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ﴾ (سورة المائدة الآيتان/٩٠ – ٩١) .

إن ما يمتاز به القرآن عن الكتب السماوية الأخرى هو أنه لا يجبر أتباعه على الإيمان التقليدي ، بل يبنى حكمه على المصلحة والفلسفة ، فيذكر بعد كل حكم مصالحه ، وقد شرح القرآن مصالح أحكام العبادات : الصلاة والصوم والحج والزكاة وغيرها ، فبالنظر إلى هذا لما حرم القرآن الخمر تناول مصالح تحريم الخمر وأسبابه بكل تفصيل وإيضاح ، وسماها رجساً أي نجاسة روحية وخلقية (١) ، وذكر سببين لهذه النجاسة الخلقية والروحية ، أحدهما أن الخمر تحدث البغض والعداوة بين الناس ، وآخرهما أن الخمر تحدث الغفلة في الإنسان وتجعله بعيداً من الحسنات ، وذلك ما أشار إليه القرآن : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنْ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ﴾ (سورة المائدة : الآية/٩١) .

يحتال بعض الناس فيقول : إذا شربت الخمر بمقدار لا يسكر ، فلا حرج فيه ، لكن لسان النبوة على صاحبها الصلاة والسلام قد أزال هذه الحيلة بقوله : ما أسكر كثيرة فقليله حرام (سنن الترمذي) فلم يمنع الإسلام من شرب الخمر فحسب ، بل منع من بيعها وتجارتها .

---

(١) يعني عامة الفقهاء الرجس نجاسة حقيقية ، هذا غلط فاحش ، لأن كلمة "رجس" في آية المائدة خبر للخمر والميسر والأنصاب والأزلام ، فإذا أردنا بالرجس نجاسة حقيقية لزم أن يكون الميسر والأنصاب نجاسة حقيقية ، ووجب غسل اليد من مسها ، رغم أنهم لا يقولون مثل هذا ، وإذا أردنا من الخمر النجاسة الحقيقية ومن بقية الأشياء النجاسة المجازية أدى ذلك إلى الجمع بين الحقيقة والمجاز ، فالمراد من "رجس" نجاسة روحية .

هناك شهادات أجنبية للخبراء الأوربيين الذين اكتشفوا مضار الخمر التي تترتب على الجسد الإنساني ، فقال الباحث الشهير في أوربا "جارلس دارون" : قد وثقت نظراً إلى التجارب المتواترة من الآباء والأجداد بأن موت الناس يقع كثيراً من استعمال المسكرات دون الأمراض الأخرى ، وقد اعتبر علم الكيمياء الخمر أخبث غذاء يتناوله الإنسان ، وقال البروفيسور "كريملن" الذي يجري دراساته منذ ٢٥/عاماً حول أمراض الدماغ في جامعة ميونخ بألمانيا : إن الخمر تهلك الأمم المثقفة وتدمرها ، وقال "بروتلو" أحد علماء الكيمياء : إني أشهد مع جميع الأطباء الماهرين أن الخمر سم ناقع للحياة الإنسانية وأعدى عدو للصحة والعقل ، وقد كشفت الدراسات أنّ ما يعم في فرنسا خاصة من نقص في العمران وضعف القوى وقصر القامة وقلة الأعمار يرجع سببه إلى شرب الخمر .

يظن بعض الناس الذين يعترفون بمضار الخمر أن قليل الخمر ليس بضار ، ولا شك فيه ، لكن هذا المقدار القليل إذا كان كل يوم باستمرار انتشرت الأجزاء المسمومة للخمر في الجسم وأضرت به إضراراً ، فالذي يشرب قليلاً يصاب بالأمراض بتأخير ، والذي يكثر يصاب على عجل ، وكثيراً ما نشاهد أن الشباب الذين يشربون بنسبة قليلة ويظنون أن هذا المقدار لا يضرهم يبتلون عامة في عهد الشيخوخة بأمراض مزمنة ، ويصابون بالضعف الشديد ، والنـــزلة الدائمة ووجع المفاصل وغير ذلك ، ويقول بعض الناس : لا بد من شرب الخمر للرجال الذين يكدون طوال النهار ، حتى يتخفف الهم والتعب ، ويتجدد النشاط في أعضاء الجسم ، وليكن على بالهم أن هذا النشاط الصناعي يضعف عضلاتهم ، ثم لا يستطيعون أن يعملوا عملاً في حياتهم .

(مقالات سليمان ج/٣/٣٥١ – ٣٦٥)

*****

أخبار علمية وثقافية:

عالم هندي يتألق في مجال علم الحديث بالعالم الإسلامي

بقلم : الدكتور عز الدين الندوي
محاضر ضيف ، قسم اللغة العربية ، جامعة كيرالا ، ترفاندرم

الشيخ الدكتور حمزة عبدالله المليباري نجم متألق في علم الحديث وأصوله ، وهو من كبار العلماء المشهورين المعاصرين في هذا الميدان. وله كتب وبحوث ومقالات قيمة في هذا الفرع من العلوم وهو لايزال يدعى منذ سنوات إلى الندوات والمؤتمرات والملتقيات التي تعقد حول علوم الحديث النبوي في مختلف أنحاء العالم ، وقد نقد عليه رجال كبار من المعاصرين من علماء الحديث النبوي مثل العلامة ناصرالدين الألباني والشيخ عبدالفتاح أبوغده.هو الآن يشتغل كأستاذ علوم الحديث في كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي في الإمارات العربية المتحدة ، بعدما كان أستاذ الحديث في جامعة عبد القادر الإسلامية خلال فترة مابين ١٩٨٨-١٩٩٥م في الجزائر وفي جامعة الأردن سنة ١٩٩٦-٢٠٠٠م بعمان .

ولادته ودراسته :

ولد الشيخ حمزة بن عبد الله بن أحمد المليباري في باتووم قرب تاليبرمبا في مقاطعة كنور بولاية كيرالا من جنوب الهند عام١٩٥٢م, نشأ يتيما على كفالة أخيه الشقيق الكبير محمد, بعد دراسته الابتدائية طلب العلوم الشرعية في المعاهد الدينية الخيرية التي تسمى في كيرالا "الدرس" ,حتى أكمل الدراسة في المعهد العالي الإسلامي المعروف بالباقيات الصالحات بـــ ويلور من ولاية تامل نادو بجنوب الهند,وتخرج فيه بلقب المولوي الباقوي سنة ١٩٧٣م ,وكان له شغف قوي في الدراسة بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة وسعى له كثيرا ولكن لم تتحقق رغبته ، رغم ذلك أنه اختير سنة ١٩٧٥م من تلك العشرة الذين رشحوا للتعليم العالي من قبل وزارة الهند على منحة دراسية من جمهورية مصر ، بل ماوصلت الأمور إلى التحقيق حتى سافر الشيخ بنفسه عام١٩٧٧م إلى مصر قاصدا الالتحاق بجامعة الأزهر حتى تم التحاقه في قسم أصول الدين وأكمل مرحلة الماجيستر في أربع سنوات ونال الماجستير في علوم الحديث بدرجة ممتازة عام١٩٨١م كان عنوان رسالته للماجستير"أحاديث عبدالله بن عمر من مسند

الإمام أحمد تخريج ودراسة". وفقه الله للالتحاق بجامعة أم القرى في مرحلة الدكتوراه وحصل على الدكتوراه بامتياز سنة ١٩٨٧م كان عنوان أطروحته للدكتوراه"غاية المقصد في زوائد المسند/القسم الثاني- تحقيق ودراسة" .

شخصيته ومكانته في علم الحديث :

إن الشيخ المليباري شخصية ممتازة يحب العلم والمعرفة, كان هو يكب على الكتب والمطالعة منذ صغره ولم يكن يضيع الأوقات بالزيارات والتحدث مع الناس بل يشتغل بالتعلم والبحوث,ولتكوين شخصيته دور كبير في دراسته بجامعة أم القرى الإسلامية بمكة المكرمة كما هو يلقي الضوء حيث يقول" وكانت حياتي وعقيدتي وتكويني كلها بدأت تتحول إلى منهج جديد أثناء حياتي بجامعة أم القرى, التي استغرقت فيها ست سنوات.ولصلتي ومجالستي مع إخواني الأفاضل أثر كبير في ذلك, منهم الدكتور سيف الرحمن مصطفى والشيخ الفاضل العالم المتواضع صغير أبوالأشبال,لاسيما الشيخ الدكتور عبدالعزيز العثيم وإن كانت صلتي به متأخرة,وكانت دراستي بالجامعة من أسعد لحظات حياتي على الإطلاق (١) إن لكتب الشيخ العلامة عبدالرحمن المعلمي رحمه الله, وكتب الحافظ ابن رجب الحنبلي وكتب الحافظ ابن حجر ومجالسته مع الشيخ الدكتور أحمد نور سيف لها تأثير كبير في تكوين شخصيته العلمية (٢) .

قضى أربعة وعشرين عاما في تدريس الحديث وعلومه بمختلف الجامعات والمعاهد بالعالم الإسلامي . عين محاضرا غير متفرغ عام ١٩٨٧م في جامعة أم القرى مكة المكرمة السعودية. من عام ١٩٨٨ إلى عام١٩٩٣م كان أستاذا مساعدا في جامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة الجزائر وأستاذا مشاركا فيها من عام١٩٩٣ إلى عام١٩٩٥م وعمل أستاذا في المعهد العالي للعلوم الإسلامية بالجزائر خلال عام ١٩٩٥و١٩٩٦م ومحاضرا متفرغا بالجامعة الأردنية,عمان الأردن من سنة ١٩٩٦م إلى سنة٢٠٠٠م ومن سنة ٢٠٠٠م إلى الآن لايزال أستاذا ورئيساً لقسم أصول الدين في كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي .

أما الآراء المبتكرة والاستنتاجات الجديدة للشيخ حمزة المليباري في علم الحديث فقد جعلته عرضة لهجمات شرسة وانتقادات شديدة من قبل معارضيه من علماء الحديث المعاصرين.أما دراسته حول منهج الإمام مسلم في صحيحه فقد

(1) htt://www.ahlaladeeth.com/vb/showth.

(٢) المرجع نفسه .

أكثر الاختلاف عنه حتى صدرت عدة مؤلفات وبحوث تنتقد آراءه ، منها ما كتب الشيخ ربيع بن هادي بن عمير المدخلي أحد كبار العلماء السلفيين وأستاذ الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة من كتاب "الرد المفحم على من اعتدى على صحيح الإمام مسلم"(صفحة/١١١) و"عقيدة المليباري ومنهجيته الخطيرة في دراسة السنة وعلومها" (صفحة/١٥) و"من عيب على مسلم إخراج حديثه والإجابة عنه" (صفحة/١١٠) و"التنكيل بما في توضيح المليباري من الأباطيل" (صفحة/٣٠٩) .

فيما أعتقد أنه لم يتعرض عالم هندي في العالم الإسلامي للطعن فيه بسبب آرائه العلمية مثل ما تعرض له الشيخ حمزة المليباري, وهذا إن دل على شيئ فإنه يدل على تعمقه في بحوثه العلمية وآرائه الثاقبة واستنتاجاته العلمية في علوم الحديث .

المواد التي قام بتدريسها في الجامعات :

قام بتدريس علوم الحديث, الحلقة-دراسة الأسانيد-, العلل,فقه الحديث في مرحلة الدراسات العليا ودرس في مرحلة البكالوريوس علوم الحديث ، الحديث التحليلي ، الحديث الموضوعي ، أحاديث الأحكام ، تخريج الحديث ، الحديث الشريف والتخريج أحاديث الإيمان ، أحاديث الفضائل والآداب ، والتفسير والسيرة النبوية .

وقام بإشراف عدد من رسائل الماجستير والدكتوراة ومناقشتها بجامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة, وجامعة باتنة بالجزائر, والجامعة الأردنية بعمان الأردن, وجامعة الشارقة بالإمارات .

مؤلفاته :

١-الحديث المعلول-قواعد وضوابط – دار الهدى بالجزائر و دار ابن حزم بيروت سنة ١٩٩٦م .
٢- نظرات جديدة في علوم الحديث ، مطبوع في الجزائر وبيروت سنة١٩٩٥م .
٣-الموازنة بين المتقدمين والمتأخرين في تصحيح الأحاديث وتعليلها-مطبوع في الجزائر والقاهرة وبيروت سنة ١٩٩٥م وصدرت الطبعة الثانية لهذا الكتاب منقحة ومزيدة بمباحث وأمثلة في سنة ٢٠٠١م ببيروت .
٤-تصحيح الحديث عند ابن الصلاح دار ابن حزم ببيروت سنة ١٩٩٧م .
٥-عبقرية الإمام مسلم في ترتيب أحاديث مسنده الصحيح, دار ابن حزم ببيروت سنة ١٩٩٧م(محكم في الجامعة الأردنية لغايات الترقية) .
٦-كيف ندرس علم تخريج الحديث – منهج مقترح لتطوير دراسته وتوظيف برمجة الحاسب الآلي في الأحاديث النبوية لتحقيق الهدف من التخريج-ثلاث طبعات دار

الرازي بالأردن سنة ١٩٩٨م(محكم في الجامعة الأردنية لغايات الترقية) .
٧-علوم الحديث في ضوء تطبيقات المحدثين (الجزءالأول),دار ابن حزم .
٨-ما هكذا تورد يا سعد الإبل-حوار علمي مع الدكتور ربيع بن هادي المدخلي حول منهج المحدثين النقاد القدامى في نقد الأحاديث – دار ابن حزم ببيروت سنة ٢٠٠٤م .
٩- سؤالات حديثة (مطبوع بملتقى أهل الحديث ,مكة المكرمة) .

الأبحاث المنشورة في مجلات الجامعات :

١-زيادة الثقة في كتب المصطلح-دراسة نقدية- منشورة في مجلة الشريعة بجامعة الكويت .
٢- زيادة الثقة وما يتصل بها من أنواع علوم الحديث-دراسة نقدية-منشورة في مجلة دراسات بالجامعة الأردنية عمان .
٣- موضوع الاستخراج في كتب المصطلح-دراسة نقدية-منشور في مجلة الشريعة بجامعة الكويت .
٤- الأصالة والتجديد في دراسة علوم الحديث منشور في مجلة الإحياء ، جامعة باتنة الجزائر .
٥- تصحيح الحديث عند ابن الصلاح منشور في مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية الجزائر .

الندوات والمؤتمرات التي شارك فيها :

١- المؤتمر الدولي المنعقد بسمرقند (أوزبكستان) حول حياة الإمام البخاري في تاريخ٢٣،٢٤ من شهر أكتوبر عام١٩٩٣م ، وقدم فيه البحث بعنوان"علوم الحديث في عصر الإمام البخاري" .
٢- الندوة العلمية المنعقدة في جامعة الأميرعبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة الجزائر سنة ١٩٩٤م حول مذهب الإمام مالك وكان عنوان بحثه في الندوة "الإمام مالك واحتجاجه بخبر الآحاد" .
٣- الملتقى الدولي حول"الأصالة والتجديد في مناهج البحث في العلوم الإسلامية والعلوم الاجتماعية " المنعقد في كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية بجامعة العقيد الحاج لخضر بولاية باتنة خلال فترة ما بين ٢٨-٣٠ اكتوبر ٢٠٠١م عنوان المقالة "الأصالة والتجديد في دراسة علوم الحديث" .
٤ - الندوة الدولية الأولى في الحديث الشريف حول"علوم الحديث : واقع وآفاق" عقدت بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي ٨-١٠ أبريل ٢٠٠٣م عنوان المقالة "ضرورة الاستفادة من جهود المتقدمين والمتأخرين في

علوم الحديث" .
٥- الندوة الدولية الثانية في الحديث الشريف بعنوان "الحديث الشريف وتحديات العصر",عقدت بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي خلال ٢٨-٣٠/مارس ٢٠٠٥م بعنوان "الدراسات الحديثية المعاصرة - تحليل وحلول" .
٦- الملتقى الدولي الثالث حول "الإسلام والمسلمون في القرن الخامس عشر الهجري : الواقع والآفاق" عقد في كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية بجامعة الحاج لخضر باتنة,الجزائر بتاريخ ١٥-١٧ مايو ٢٠٠٤م بعنوان"التدين في العصر الحديث: الواقع والعقبات والطموح".
٧- المؤتمر الدولي حول" السيرة النبوية"المنعقدة في جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة الجزائر بتاريخ ٢-٤ ٢٠١٠م بعنوان" النقاط المنهجية في تحليل النصوص الحديثية".
٨- الندوة الدولية حول" لغة الحديث و فلسفته ودراساته" المنعقدة في قسم اللغة العربية بجامعة كيرالا ترفاندرم خلال فترة ما بين ١٤-١٨فبراير٢٠١٢م بعنوان "المنهج التحليلي لفهم الحديث الشريف" .

المراجع :

١- موقع : ملتقى أهل الحديث www.ahlalhadeeth.com
٢- وحوار شخصي عقد في ٢٤يوليو ٢٠١٢م .

الأدب وسيلة فعالة للتهذيب الخلقي والإصلاح الاجتماعي

ندوة أدبية أقامتها رابطة الأدب الإسلامي في نيو دهلي *

الأدب وسيلة للتسلية ، ومع ذلك فإنه وسيلة فعالة لتهدئة البال ، وإشباع المذاق الأدبي الطبيعي السليم ، وبناء السيرة الإنسانية الإيجابية ، والتهذيب الخلقي والإصلاح الاجتماعي العام ، ولذا فإنه لا بد لنا من أن نستخدمه لأغراض إيجابية سليمة بناءة تضمن سلامة الفرد وسعادة المجتمع ، طبقاً لما صرح به الأستاذ الدكتور شفيق أحمد خان الندوي ، نائب رئيس رابطة الأدب الإسلامي نيو دلهي ، في ندوة أدبية عنوانها : "الأدب وصلته بالمجتمع" أقامتها الرابطة في مكتبها الكائن في حي أبي الفضل إنكليو ، جامعة نكر ، نيو دلهي ، مساء يوم الأحد في اليوم الرابع من شهر نوفمبر ٢٠١٢ ، وأضاف قائلا : إن الأدب أدب ، مناوئ للمجون والرذائل ، يؤدب الفرد والمجتمع ، ومهمته لا تختلف عن مهمة معلم أو نبي ، فالأديب هو المعلم أساسا

(*) بقلم الأستاذ الدكتور شفيق أحمد خان الندوي ، نائب رئيس رابطة الأدب الإسلامي في نيو دلهي .

بموجب ما صرح به النبي الأعظم عليه أفضل الصلاة والتسليم وهو يقول : أدبني ربي فأحسن تأديبي وقال : إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ، وروي كذلك عنه أنه قال : إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا ، بناء على ذلك فالأحاديث النبوية مزدانة بالروائع البيانية الأدبية ، فضلا عن القرآن الكريم الذي يتم إعتباره مقياسا للروعة البيانية ، ولأجله وضع المسلمون الأوائل علما معروفا بعلم البلاغة بما في ذلك من الفروع الثلاثة : المعاني والبيان والبديع بهدف ترسيخ مفاهيم القرآن الكريم في أذهان الناس ، واعتبارهم إياه معجزة أدبية إلهية خالدة على وجه الأرض ، وقد تحقق المقصود فعلا فاعتبره النقاد أساسا لأصول النقد الأدبي الحديث ، فاتضح لنا من ذلك أن الوظيفة الأولى للأديب هي توظيف الأدب للأغراض السلمية وتحبيب القيم الخلقية الإنسانية النبيلة إلى الناس وتزيينها في قلوبهم وسعي خلق جو لكراهية الكفر والفسوق والعصيان ، لكي يؤدي أدبه دورا فعالا في بناء الفرد والمجتمع عن طريق الاهتمام بالتهذيب الخلقي والالتزام بالقيم الإنسانية المعروفة .

وأردف قائلا حينما سئل عن الرابطة ومؤسسها إن الشيخ الإمام السيد أبا الحسن الندوي رحمه الله بذل جهودا جبارة طوال حياته في سبيل التربية والتعليم وإعلاء كلمة الحق على مستويات عديدة ، ألف مئات من الكتب ، وأروى ظمأ آلاف من الطلاب المتعطشين للعلم والأدب ، ودام مرجعا معرفيا لدى العرب والعجم لمدة زادت على أكثر من نصف قرن من الزمان ، إلا أنه خلف تأثيرا إيجابيا بناء وعميقا عن طريق تأسيس أو إقامة حركاته أو مؤسساته الأربع :

١ - هيئة الحفاظ على الحقوق الشرعية في هذه البلاد النائية عن مهد العروبة والإسلام .

٢ - إنشاء حركة رسالة الإنسانية لعامة المواطنين ، وذلك للتذكير بمبادئ القيم المعروفة ، وحقوق الجوار والمصير النهائي للإنسان وضرورة الإلتزام بمبادئ الحق المعروفة والمتداولة في جميع الديانات الهندية وغير الهندية عالميا .

٣ - تشكيل مجلس التعليم الديني لتدبير إقامة الكتاتيب والمدارس الإسلامية في كل قرية من القرى والأرياف وفي كل حي من أحياء المدن للحفاظ على الهوية الإسلامية لكي لا يعيد التاريخ نفسه فتتحول الهند إلى الأندلس المفقودة .

٤ - إقامة حركة رابطة الأدب الإسلامي العالمية لتقويم ما إعوج من أفكار أدبية وتوجيهها إلى الصراط القويم وتسديد مجراها من الهدم إلى البناء ومن السلبيات إلى الإيجابيات بصورة فنية بلاغية غير مباشرة .

أما رئيس الجلسة الدكتور شاه عباد الرحمن نشاط أستاذ اللغة

الإنجليزية في جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، وجامعة الملك خالد ، أبها بالمملكة العربية السعودية سابقا (خريج جامعة ايلينواي الأمريكية) فإنه عبر عن ارتياحه بمثل هذه الفعاليات التي تجدد ذكرياته مع مؤسس الرابطة رحمه الله ، إنه كان نموذجا للسلف الصالح ، الدؤوب لإعلاء كلمة الله واتباع سنة رسوله عليه الصلاة والتسليم ، إلى جامع كونه مثلا رائعا في الأدب والروعة البيانية والتعبير السليم ، ولواؤه خفاق ، ولله الحمد ، بواسطة حركته الأدبية الإيجابية البناءة لاالنـــزيهة المعروفة برابطة الإسلامي العالمية في مختلف أرجاء المعمورة .

ألقى الشاعر رضوان الله الفاروقي قصيدة عنوانها "الكتاب الأواحد" وقصائد أخرى باللغة الأردوية وترجمها باللغة الإنكليزية ، استمتع إليها الحضور وأشادوا بها مع ملاحظات وتعقيبات وآراء في التعبير عن مفاهيم ، شارك فيها أساتذة جامعات العاصمة الهندية وطلابها ، وفي مقدمتهم أ. و د. محمد أيوب تاج الدين الندوي ، و د. فوزان أحمد ، و د. مجيب أختر الندوي ، د. محمد أكرم ، و د. عبد القادر خان ، د. محمد سعيد ، وفضل الرحيم الندوي ، وعبيد الله جنيد الندوي ، وأشفاق أحمد القاسمي ، وذوالفقار علي الحافظ ، والمهندس سيد زبير مصطفى بن سيد محمد اجتباء الندوي ، بدأت الجلسة بتلاوة آي من الذكر الحكيم تلاها الحافظ مطيع الرحمن ، وأدارها غياث الإسلام الصديقي الندوي .

إلى رحمة الله تعالى:

الأستاذ الدكتور شمس تبريز خان في ذمة الله تعالى

قلم التحرير

فجاءة سمعنا نبأ وفاة الأستاذ الدكتور شمس تبريز خان ، أحد أساتذة القسم العربي بجامعة لكهنؤ ، وكان يمارس عمله حسب العادة ولم يكن يبدو عليه أثر من علة أو مرض إذ فاجأته نوبة قلبية ظهر يوم السبت ٣/من شهر ربيع الأول ١٤٣٤هـ الموافق ١٩/١/٢٠١٣م ، وقد أدخل المستشفى وتناوله الأطباء البارعون بالعلاج ولكنه رغما من جميع التدابير التي اتخذوها في إبقاء حياته ، انتقل إلى رحمة الله تعالى ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الراحل الكريم من العلماء الأدباء الذين أنجزوا خدمات علمية وأدبية ذات قيمة بالغة ، وقد كان سماحة العلامة الإمام الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله توسم فيه كفاءات العلم والدين والأدب ، فوظفه في المجمع الإسلامي العلمي بندوة العلماء فاستطاع خلال ذلك أن ينقل كتاب

"اقتضاء الصراط المستقيم" لابن تيمية رحمه الله تعالى ، إلى لغة أردو ، كما قد قام بترجمة كتاب العلامة الندوي رحمه الله "روائع إقبال" إلى لغة أردوية فصيحة" وألف كتابا حول حياة حبيب الرحمن خان الشيرواني بتوجيه العلامة الندوي ، وألف الجزء الأول من تاريخ ندوة العلماء بأمر من سماحته يرحمه الله .

وبعد ما قضى وقتا طيبا في التأليف والترجمة من خلال المجمع الإسلامي العلمي بندوة العلماء ، بدا له أن يعد للحصول على شهادة الدكتوراة من جامعة لكهنؤ ، فتحققت أمنيته في سبيل التقدم العلمي ، ونظرا إلى كفاءته العلمية والأدبية قبلته جامعة لكناؤ كمدرس في القسم العربي ، وتدرج حتى وصل إلى درجة الأستاذ .

قام بتعزية أهله وأبنائه المسئولون عن دار العلوم لندوة العلماء وأساتذتها ، وصُلي عليه بعد صلاة العشاء في ميدان قريب من منـــزله في "مدح غنج" بلكهنؤ ، ونحن إذ نتقدم بالتعازي إلى جميع أعضاء أسرته وندعو الله سبحانه وتعالى أن يتناوله بالرحمة والمغفرة ، نرجوه تعالى أن يسكنه فسيح جناته ، ويلهم الجميع الصبر الجميل والتوفيق للدعاء الخالص له ، فإن الدعاء مخ العبادة ، والله يحب الصابرين ، وهو ولي التوفيق .

Declaration of Ownership & Other Details

Form 4 Rule 8

Name of Paper	:AL-BASS-EL-ISLAMI
Place of Publication	:Lucknow
Periodicity of Publication	:Monthly
Chief Editor	:SAEED AL-AZAMI AL-NADWI
Nationality	:Indian
Address	:AL-BASS-EL-ISLAMI, Taigore Marg, Lucknow (U.P)
Printer/Publisher	:ATHAR HUSAIN
Nationality	:Indian
Address	:21, Adnan Palli, Near Hira Public School, Ring Road Dubagga, Post Kakori, Lucknow
Ownership	:Majlis Sahafat wa Nashriyat, Lucknow

I, ATHAR HUSAIN, Printer/Publisher declear that the above information is correct to the best of my knowledge and belief.

(MARCH 2013)

ننعى إلى القراء الكرام فضيلة الشيخ السيد عبد الله محمد الحسني الندوي ، رحمه الله والمجلة في المطبعة ماثلة للطبع ، فموعدنا معكم في العدد القادم .

البعث الإسلامي
مجلة إسلامية شهرية جامعة
ص ب ٩٣، ندوة العلماء، لكناؤ (الهند)
الفاكس: ٢٧٨٧٧١٠- ٠٥٢٢

AL-BAAS-EL-ISLAMI
NADWATUL ULAMA, P.O. BOX. 93
LUCKNOW-226007-U.P.(INDIA)
FAX:0091-522,2741221-2741231

رسالة إخوية مهمة

حضرة الأخ القارئ الكريم! حفظ الله تعالى للإسلام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فأتمنى على الله سبحانه أن تكونوا في خير وعافية وصحة جيدة، نشكركم على ما تتابعونه من قراءة:"البعث الإسلامي" وهي مجلتكم ومجلة كل محب للصحافة الإسلامية الهادفة، تصدر من ٥٧ عاما بالاستمرار، وهي تجتاز الآن عامها الثامن والخمسين. والحمد لله. ونرجو الله سبحانه أن يوفر لإتمامه جميع الوسائل اللازمة ويجعل التوفيق حليف العمل والعاملين.

لا يخفى عليكم أن المجلة إنما تصدر في ظروف قاسية جداً، وبتكلفة باهظة، ولاسيما بعد تضاعف أجرة البريد فهي بأمس حاجة إلى تعاون كريم منكم، وذلك بتقديم دعم علمي ومادي وشيء من الاهتمام بتوسعة نطاق مشتركين جدد من جملة إخوانكم وأصدقائكم، ولكم منا الشكر الجزيل ومن الله تعالى حسن القبول.

أرجو التكرم بتحويل أي تبرع أو اشتراك للمجلة بواسطة شيك صادر من أحد البنوك باسم:

A/C -BAAS-EL-ISLAMI A/C 10863759846 STATE BANK OF INDIA

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم المخلص

سعيد الأعظمي الندوي

رئيس تحرير مجلة البعث الإسلامي

مكتب "البعث الإسلامي" مؤسسة الصحافة والنشر)

ندوة العلماء، ص ب ٩٣، لكناؤ (الهند)

بالعنوان التالي:

مكتب "البعث الإسلامي" مؤسسة الصحافة والنشر

ندوة العلماء، ص ب ٩٣، لكناؤ - ٢٢٦٠٠٧(الهند)